

ألا إن أحلام البلاد دفينه

بقلم : الحبيب الدريدي

إِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي أَنْبَتَتْ حَدائقَ غَلَبَا وفاكهةً وَأَبَا قَدْ تُوْخِذُ بِالسَّنَةِ
الغبراء المجدبة وتبتلى بالريِّح الصَّرسِرِ العاتية وَلَكِنَّهَا تَظَلُّ نَوْمًا
مَوْئِلًا لَزَكِيِّ الطَّلَعِ وَمَنْزِلًا لَطِيبِ الثَّمَرَاتِ وَالْيَنْعِ ، وَإِنَّ الْكُتُبَ الَّتِي
عَبِقَتْ بفوائِحِ الحكمة قَدْ يُعْفَى عَلَيْهَا الزَّمَانُ وَيُهَالُ عَلَيْهَا ثَرَابُ
النَّسِيَانِ وَلَكِنَّهَا تَبْقَى أَبَدًا أَعْلَاقًا نَفِيسَةً يَفْتَرِفُ مِنْ وَرْدِهَا الْعُقْلَاءُ
وَيَخَانِرُ ثَمِينَةً يَنْهَلُ مِنْ نَبْعِهَا الْفَضْلَاءُ ، وَهَذَا السَّهْلُ الْخَصِيبُ
الَّذِي تُحْصِنُهُ الشَّامِخَاتُ الرَّوَاسِي أُعْطِيَ لِعَصْرِ النَّهْضَةِ مَفْكَرًا
خَطِيرًا وَمَوْجِئًا مِمْتَازًا وَمَصْلَحًا رَائِدًا وَأَنْجَبَ أَهْمُ رَمْزٍ مِنْ رَمْوزِ
الثَّقَافَةِ التُّونِسِيَّةِ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ أَفِيْعُكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ أَلَّا تَتَبَوَّأَ
فِيهِ الثَّقَافَةَ وَالْفِكْرُ أَشْرَفُ الْمَرَاتِبِ وَأَعْلَاهَا وَأَرْفَعُ الْمَحَالِّ وَأَسْنَاهَا ؟

* * * *

ولعلَّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الضَّيَافِ وَهُوَ الَّذِي زَارَ مَسَارِحَ بَارِيسَ
وَمَتَاحِفَهَا وَمَكْتَبَاتَهَا مِنْذَ قَرْنٍ وَنِصْفٍ يَتَرَاوِي لَهُ الْيَوْمَ سَهْلُهُ
الْخَصِيبُ وَقَدْ انْتَصَبَتْ فِيهِ نُورُ الْمَسْرُوحِ وَالْمُوسِيقَى صُرُوحًا
شَامِخَةً وَبُرُوجًا مَشِيدَةً تَعْرُضُ عَلَى النَّاسِ جَيِّدَ الْأَثَارِ وَخَالِصَ
الِإِبْدَاعِ وَانْتَشَشَرَتْ فِي أَرْجَائِهِ الْمَتَاحِفُ وَالْأَرْوَقَةُ تَقْتَرُّ عَنْ
رَائِعِ التَّمَاثِيلِ وَرَائِقِ التَّصَاوِيرِ تُغْرِي الْعَيُونَ بِمَا أَبْدَعَتْهُ الْأَيْدِي
الشَّاعِرَةُ وَتَسْتَحْكُمُ الْعُقُولُ إِلَى مَا أَتَّقَنَتْ صَنْعُهُ الْأَنَامِلُ
الْبَلِيفَةُ وَشَاعَتْ فِي مَخْتَلَفِ نَوَاحِيهِ نُورُ الْكُتُبِ تَتَطَوَّى عَلَى

فُصُوصُ التَّالِيفِ وَالْمُنْتَدِيَّاتُ تَعْمُرُ بِالْجِدْلِ الْمَتِينِ وَالْمَنَابِرُ
تَصْدَحُ بِالْأَدَبِ الْأَصِيلِ ، وَالنَّاسُ فِي سَكْرَةِ الْفَنِّ وَنَشْوَةِ
الْفِكْرِ قَدْ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الثَّقَافَةَ حَتَّى تَخْلُقُوا بِهَا
وَصَارَتْ مِنْ طِبَاعِهِمْ .

* * * *

وَلَكِنَّهَا رُؤْيَا ... وَلَكِنَّهُ حُلْمٌ وَخَيَالٌ وَظَنُّ ... وَلَنَصْدَعُ
بِالْحَقِّ وَلَا جَنَاحَ وَلَنُفَصِّحَ عَنِ الصَّدَقِ وَلَا تَشْرِيبَ : إِنْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ حُلْمِ ابْنِ أَبِي الضِّيَافِ بَوْنٌ بَائِنٌ لَا سَبِيلَ إِلَى
إِنْكَارِهِ وَجَحْدِهِ ، فَحَالُ الثَّقَافَةِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْجَبَتْ صَاحِبَ
« إِتْحَافِ أَهْلِ الزَّمَانِ » - عَلَى حِرْصِ الْمُشْرِفِينَ وَاجْتِهَادِ
الْمُتَحَمِّسِينَ - لَيْسَتْ مِمَّا تَحْمَدُهُ أَلْسِنَتُنَا وَتَسْكُنُ إِلَيْهِ نَفُوسُنَا
وَتَرْضَى عَنْهُ ضَمَائِرُنَا أَوْ مِمَّا يُثْلَجُ أَفْئِدَتَنَا وَتَقْرُبُ بِهِ أَعْيُنَنَا ،
وَهِيَ فِي مَسِيرِ الْحَاجَةِ إِلَى مَنْ يَبْعَثُ فِي كِيَانِهَا رُوحَ
الْحَيَاةِ وَطَبِيعَهَا وَيُقْبِسُ فِي هَشِيمِهَا نَارَ الْعِزِّ
وَالْهَيْبَةِ

<http://Archivebeta.Sakhr.net>

* * * *

وَلِنْ مَا يَرُدُّنَا إِلَى الْأَمَلِ الْوَادِعِ وَيَعْدِلُ بِنَا إِلَى
الطَّمَانِينَةِ الرَّاضِيَةِ أَنْكَ تَرَى أَهْلَ الثَّقَافَةِ الْيَوْمَ فِي حَرَكَةِ
نُوبٍ يَتَدَارَسُونَ الشَّأْنَ الثَّقَافِيَّ وَيَتَدَبَّرُونَ مَسَائِلَهُ
وَيَسْتَشْرِفُونَ مُسْتَقْبَلَهُ وَيَهَيِّثُونَ لِدَفَاعَةِ ثَقَافَتِهِ وَاعِدَةً أَخَذَتْ
تَبَنُّو طِلَانَعَهَا وَتَظْهَرُ بِوَادِعِهَا ، فَخَلَفَ الصَّمْتُ زَيْبُ
الْفِعْلِ وَزَمْجَرَةُ الْخَلْقِ وَتَحْتَ الرَّمَادِ لَهْيُ الصُّحُوفِ يَتَقَدُّ
وَنَارُ الْعِزِّ تَضْطَرِّمُ وَأَحْلَامُ الْبِلَادِ الدَّقِينَةُ سَتُبْعَتْ
طَلِيقَةً خَفَافَةً مَجْنَحَةً ، وَكَأَنَّ فِينَا رُوحَ غِيلَانَ تُلَوِّي :
« مَا قَدْ جَاءَتْ سَاعَةُ السَّيْرِ الْعَظِيمِ وَالْخَلْقِ الْمَتِينِ
وَالْفِعْلِ »

الناسخ والمنسوخ :

تاريخية القرآن / الإسلام

بقلم : الضاوي خوالدية

قال تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » (1) لقد اقترن وعي العرب بالتخلف في القرن الماضي « بوصفات » علاج حددها مصلحوهم (2) غير أن اشتداد الهيمنة الإستعمارية أواخر القرن المذكور ومطلع القرن الحالي عمق الوعي بالتخلف وأحدث « تعديلات » على وصفات العلاج تنظيرا (3) وتنظيما (4) فأتت « أكلها » (الإستقلال) ممّا طمّعهم (العرب) في أن هذه الصفات (التي « تطورت » بدما من الخمسينات ستأتي بالرخاء العام والتقدم والسؤدد لكن الإستقلال بالنسبة إلى العرب كان نظام الحزب الواحد والاستبداد والفقر والمحسوبية وحكم العشائر والجهات والأسر فالهزائم والتحكم الغربي في المصائر (بشكل جديد) فكانت جلّ ربه الأفعال « كافرة » بمناحي الصفات ذات البعد الغربي (5) بارزة في حركات دينية رأت الإصلاح - كما رأى بعض المصلحين السلفيين في القرن الماضي وبداية هذا القرن - كامنا . نون إعمال عقل (نقد) في بعث العصر الذهبي الإسلامي من جديد (التقدم التراجعي) (6) الذي يتوقف تحقيقه على اعتماد القرآن وحده باعتباره - بكل بساطة - العلاج الشافي لكلّ أمراض المجتمع ، يقول جمال الدين الأفغاني (1839 - 1897) قول بعض خلفائه (بصيغ مختلفة أحيانا) : « كلّ مسلم مريض دواؤه في القرآن » (7) أما وسائل هذا البعث الجديد فالتجيش السياسي النضالي (8) لكن أعادت هذه الحركات قراءة القرآن (دستورها وإيديولوجيتها) قراءة نقدية جديدة في ضوء المناهج الحديثة ؟ إنّ المتأمل في دراساتهم القرآنية لا يجد أكثر من ترديدات لقراءات القدامى مصبوغة بمذهب هذا أو ذاك ونهجه النضالي (9) وعلى ذلك فبؤادر الدراسات صارمة العلمية بدأت في البروز (10) ، ولعلّ محاولتنا هذه : « الناسخ والمنسوخ » ناحية هذا المنحى على تواضعها إذ قراءة القرآن قراءة

علمية وإبراز تاريخيته إحداه شقوق في سدّ اسمنتي ضخّم حبس الماء عن أرض شاسعة خصبة ، وإعادة الإعتبار لهذا الكتاب المقدس الذي امتهنه أكثر المدّعين تشبثاً به .

1 - النّاسخ والمنسوخ :

1 - الإمامة به : لقد أجمع علماء المسلمين على أنّ معرفة النّاسخ والمنسوخ ضرورة للمجتهد والقاضي ومفسّر القرآن (11) إذ استنباط الأحكام (مدار النّاسخ والمنسوخ ، الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة) أمّا الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ (12) وتبيان خفايا أي القرآن يتوقفان على التبريز في هذا العلم ، ولعلّ عناية الصحابة الشديدة به باعتبارهم قد عاشوا نزول النّاسخ ورفع المنسوخ (خطأ / لفظاً أو حكماً) ورأوا كيف تبدّل بمقتضاه بعض الأحكام وتغير تماشياً مع مصلحة المجتمع وتحولّه بارزة في نعيمهم على قضاة يجهلون النّاسخ والمنسوخ (13) .

» إنّ معنى نسخ الحكم إلى غيره إنّما هو تحويله ونقل عبارته عنه إلى غيرها . فإذا كان ذلك معنى نسخ الآية ، فسواء - إذا نسخ حكمها فغير ويدل فرضها ، ونقل فرض العباد عن اللّام كان لهم بها - ألّقر خطها فترك ، أو محي أثرها فعنّي ونُسي ، إذ هي حينئذ في كلتا حالتها منسوخة ، والحكم الحادث : المبدل به الحكم الأول ، والمنقول إليه فرض العباد ، هو النّاسخ « (14) والحكمة من النسخ التيسير والإنشاء (التأخير) ومراعاة الظروف التي يعيشها المجتمع في زمن معين والمصلحة المرتبطة بالوقت والحال (15) ولعلّ آية السيف : « فإذا انسلك الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلّوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلّاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم إنّ الله غفور رحيم » التوبة آية 5 ، التي نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية ثم نسخ آخرها أولها من الأدلّة على هذه الحكمة (16)

ب - من مدلولات آية النسخ : لعلّ ما يحسن إثارتها قبل عرض أهم ما قال مفسرو هذه الآية ، أنّها تكشف عن :

- صراع فكري وحرية رأي ومعتقد عرفتهما المدينة عهد النّبي (سبب نزول هذه

(الآية) « ما ننسخ من آية ... » البدء : طعن اليهود في علم الله وقدرته وعدم استقرار محمد النبي على رأي ... (17) .

- إن النسخ الذي هو أصل من أصول الشرائع يطرأ على شريعة فتغير بشرعية بعدها ويطرأ على بعض أحكام شريعة بأحكام تبطلها من تلك الشريعة (18) أي أن الشرائع ليست ثابتة وإنما هي متحوكة تماشيا مع أحوال المجتمع وليس كما يرى بعضهم في هذا العصر أنها جامدة جامعة مانعة مغلقة (منذ 14 قرنا) وماعلى الناس في عصرنا وفي كل العصور إلا أن يمتوا أرجلهم على قدرها !

لقد أجمع مفسرو هذه الآية - على اختلافهم في استعمال المترادفات - على أن « ماننسخ من آية » تعنى ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبدله ونغيره (19) ، « أو ننسها » : ما ننسخ يا محمد من آية فنغير حكمها أو ننسها (النسيان أو الإنسَاء أو النِّسَاء) (20) ، « نأت بخير منها أو مثلها » إن هذين الحالين وهما النسخ والإنسَاء أو النسي لا يفارقان حالين هما الإتيان في وقت النسخ ووقت الإنسَاء بشيء هو خير من المنسوخ أو مثله أو خير من المنسي أو المنسوء أو مثله (21) ثم أكد محمد الطاهر ابن عاشور « أن الخيرية والمثلية تشتملان على ما يناسب مصلحة الناس أو يدفع عنهم مضرة أو ما فيه جلب عواقب حميدة ، أو ما فيه ثواب جزيل ، أو ما فيه رفق بالمكلفين ورحمة بهم » (22)

قد يكون مفيدا التأكيد أن بنية هذه الآية (جملة شرطية) التي جئنا على أهم مدلولاتها تفيد إبهاما في الزمن أي لا تدل على زمن معين (23) ولعل في ذلك حكمة كبرى لقوم يفقهون !

2 - إهمال علماء المسلمين العمل بالنسخ :

إذا كان حظ الناسخ والمنسوخ في التصنيف كبيرا (24) فإن العمل به يكاد يكون معدوما . وليست هذه المفارقة غريبة عن الفكر العربي الإسلامي إذ كانت المؤنة الفقهية - بمفهومها الشامل - نظرية مثالية أخلاقية متضخمة لا علاقة لها بالواقع (25) ، وحكم القضاة خاضعا في مجمله لمصالحهم ومصالح أسيادهم (26) ، وسياسة الخلفاء (أمراء المؤمنين) فردية استبدادية وثيقة العلاقة بالشريعة شعارات وأقوال حاشية ومؤلفات كتاب القصور ، وعلى هذه المفارقة التي

كُتِبَت الدين فتكلس العقل والعكس صحيح ، فإنه يحسن - ونحن ندرس قضية النسخ الجزئية الخطيرة - أن نلجأ إلى أهم الأسباب التي قد تكون وراء إهمال العلماء العمل به (النسخ) .

- الصعوبة : لقد ضيق العلماء شروط العمل بالنسخ حتى كاد يستحيل تطبيقه في الأحكام منها: المعرفة المستفيضة بعلم التاريخ لتبين المتقدم من أي القرآن والمتأخر ، والنقل صحيح الإسناد وعدم قبول الرأي والاجتهاد والتوافق بين القرآن والسنة ... وقد أجمل هذه الشروط كل من السيوطي (ت 911 هـ) نقلا عن ابن الحصار : >> إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن صحابي يقول أية كذا نسخت كذا قال وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر . قال ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بيّنة لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهد صلى الله عليه وسلم . والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد . قال والناس في هذا بين طرفي نقيض فمن قائل لا يقبل في النسخ أخبار الأحاد العلول ومن متساهل يكتفي فيه بقول مفسر أو مجتهد خلاف قولهما >> (27) ، والشافعي (ت 204 هـ) >> حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضدة لها وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعها سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة >> (28) .

إن جعل النقل (الصحيح) مرتكزا أوحده لمعرفة النسخ والعمل به قد >> أبطل >> هذا الأصل الشرعي لأن الإختلاف في النص القرآني قد ظهرت بوادره في عهد عمر (ت 23 هـ) (29) واشتدت حتى أفضت إلى صراع في عهد عثمان (ت 35 هـ) الذي اختار نصا وأحرق البقية فضاعت سور وآيات (30) وبذلك كان التداخل - إضافة إلى ما ضاع أو أحرق - بين الناسخ والمنسوخ . ولعل مصداق هذا ما أجاب به قاض سالكه ابن عباس (ت 32 هـ) عن الناسخ والمنسوخ : >> ومن يعرف الناسخ من المنسوخ ؟ >> ثم أكد ، ابن عباس السؤال قائلا : وما تدري ما الناسخ من المنسوخ ؟ فقال القاضي : لا ، قال ابن عباس : هلك وأهلك (31) إن كان هذا حال النسخ عهد صحابة الرسول المقربين فكيف يكون الأمر بعد ذلك والقضاة

يحكمهم ثالث ثقيل : السلطة والمصلحة والجهل ؟ (32) .

- السلطة : إن كنّا أشرنا في الفقرة السابقة إلى عوامل « موضوعية » قد تكون حالت دون العلماء والفقهاء ومعرفة الآيات الناسخة والآيات المنسوخة معرفة لا يشوبها شك ثم العمل بها تبعا لذلك ، فإنّ للسلطة دورا كبيرا في إيقاف نموّ هذا الفنّ من العلوم الإسلامية وذلك أنّ « للأمة » دستورا سماويا (الكتاب والسنة) « يحفظها » من الضياع منقذوه بعد النبي راشدين كانوا أو أمويين أو عباسيين أو شيعيين ... يرون أنفسهم مفوضين إليها للقيام بهذه المهمة / الرسالة (33) التي لم يقصروها على حكم الرعية حكما « دينيا إسلاميا » وإنما نصّبوا أنفسهم حماة القرآن الذي كان منذ بدء نزوله مثار خلاف (أسباب النزول ، النسخ ، الآي المحكمة ، الآي المتشابهة ، القراءات المختلفة (34) ، الصراع حول أي المصاحف أصح (35) فما دام مصدر القرآن والسلطة واحد (الله) فإن تناولهما بالبحث والنقد والتحصيص يثير الإختلاف والفرقة (36) ويرفع من شأن العقل (الإنسان) ويجرّئ الناس على المقدسين لذلك حاربت السلطة القدرية (37) و « هادنت » المرجئة (38) والنّابتة (39) والروّاشدية (40) وجمعت مؤسسي مذاهب حاولوا أن يحكموا عقولهم فقط في استنباط الأحكام واتخاذ مواقف من مشاغل العصر المختلفة (41)

3 - استنتاج ورأي ،

لقد تبين لنا أنّ الشرائع (والقوانين عامة) ينسخ بعضها كلياً أو جزئياً وأنّ أسباب هذا النسخ تبدل الظروف وتطور المجتمع وتحوله من حال إلى حال (42) ممّا « استوجب » أن تكون مضامين هذه الشرائع مواكبة لواقع المجتمع الذي وجهت إليه أو نزلت عليه مستوى ذهنيا وبيئة واقتصادا وعلاقات اجتماعية ... إلخ . لأنّ شرعا (أو قانونا وضعا) لا يلبي حاجات المجتمع (ينظم حياته ، يجيب له عن أسئلته الكبرى ، يفتح له أبواب المستقبل ...) في ظرف تاريخي معيّن لا يكتب له البقاء . ولعلّ قانون التبدل والتغير هذا جعل النسخ أصلا من أصول الشرائع وجعل الاسلام / القرآن تبعا لذلك ناسخا لما قبله (43) باعتبار ختمه الرسالات السماوية وشموليته « الولود » (44) والطور الحضاري الذي جاء فيه متضمنا

ميكانيزما ذاتيا قلَّ التغطُن إلى خطورته (النسخ) يشدَّب (ينقح) أو يلغي أو يجدد كل حكم أصبح غير مساير لواقع المجتمع (المنسوخ بمكة كثير والناسخ بالمدينة كثير (45)) ولعل الآية المدنية التي صدرنا بها الدراسة لمؤيدة ما ذهبنا إليه إذ هي إضافة إلى تشريعها النسخ وتأكيدا أن الناسخ يكون أحسن من المنسوخ أو مثله . لأن مدار الخيرية المصلحة الإجتماعية المقترنة بظرفية تاريخية معينة - لم تقصر النسخ على زمن محدد لأن تطور المجتمع لا يتوقف . وهنا يكون الإشكال التالي : أيمكن نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي ؟ (46) إنَّ عمر بن الخطاب همَّ بذلك لكنَّهُ خشي قول الناس : « إنَّ عمر زاد في كتاب الله (47) » ولم يخش غير ذلك !! لأنَّه لا خير في شريعة توقف حركة المجتمع ولا خير في مجتمع « يحاول » أن يتوقف ليلالئم الشريعة ، وقد يكون قول الرسول : « **إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا** » (48) وكثرة الآيات المنسوخة في عهده مؤكدين لاحتامية النسخ المستمر أو مواكبة الشريعة لأحوال المجتمع ، ولعل هذا ما يدعوننا إلى الإصداع بالرأي التالي : مادام المنسوخ نوعين : نوعا باق خطه (لفظه) مزال حكمه ونوعا مرفوع خطه (منسئ) فلم لا تنسخ حكم الآيات التي لا تماشي العصر محافظين على رسمها (لفظها ، تلاوتها) باعتبار قداستها وبلاغتها ودلالاتها على هويتنا وتطورنا ؟ (49) ، فالإبقاء على أحكام كتعدد الزوجات (50) وقوامة الرجال على النساء (51) والإرث (عدم التساوي بين الذكر والأنثى) (52) والحد والقصاص (الصلب ، قطع الرأس ، الرجم ، قطع الأطراف ...) (53) ، ومعاداة « أهل الكفر » و « محاربتهم » (آية السيف) (54) ، والردة ... ليس معيقا لتقدم المجتمع فقط بل هو علامات تدل - في نظر الآخر والعصر وبعض المسلمين النيرين - على عنف المسلم وشراسته وتخلفه بـله حيوانيته . إنَّ رأينا هذا ليس « بدعة » لأنَّه ليس مسقطا على النصِّ القرآني وإنَّما هو نابع منه ولأنَّ أحد صحابة الرسول الكبار وهو عمر بن الخطاب قد تغطَّن إلى دور الزمن ، والقرآن لا يزال حديث النُّزول ، فتجاوز أحكام بعض الآيات والأحاديث (56) .

المراجع والهوامش :

1 - البقرة ، آية 106

2 - من مؤلفات المصلحين الحاوية لهذه الوصفات (النظريات الإصلاحية) :

- رفاة رافع الطهطاوي : تخلص الإبريز في تلخيص باريس

- خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك

- أحمد بن أبي الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (8 ج) ج 1

- من الدراسات النقدية الجادة لهذه النظريات :

- عبد المجيد الشرفي : الإسلام والحداثة ، الدار التونسية للنشر 1990 : الفصل السادس : مشكلة الحكم : ص 187 - 223 (خاصة)

- هشام شرابي : المثقفون العرب والغرب ، ط 2 ، دار النهار للنشر ، بيروت 1987

3 - البروز البين للكيانات العربية الوطنية

- ظهور مشاريع قومية وإسلامية : الجامعة الإسلامية ، الرابطة الإسلامية ، الخلافة العربية ...

4 - تأسيس جمعيات وأحزاب : جمعية النهضة العربية 1903 ، العربية الفتاة 1911 العهد

1913 ، جمعية الشورى العثمانية ، القحطانية 1909 ، حزب اللامركزية الإدارية العثمانية ،

حركة الشباب التونسي 1907 ، حزب الوفد المصري ، الحزب الحر الدستوري التونسي 1920

، جامعة عموم العملة التونسية 1924 ، الإخوان المسلمون 1928 ، جمعية العلماء الجزائرية

1931 ...

5 - الفكر العربي ، محمد أركون : ترجمة د . عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت ،

باريس ط 1 ، 1982 صص 158 - 171 ... (مبحث : اتجاهات الثورة)

- الفكر الإسلامي : قراءة علمية ، محمد أركون ، مركز الإنماء القومي ، بيروت 1987 صص :

61 - 85 (مبحث : الإسلام في التاريخ) و صص 87 - 112 : (مبحث : تطبيق علوم الإنسان

والمجتمع على دراسة الإسلام)

- الإسلام والحداثة : عبد المجيد الشرفي ص 199 - 210

6 - الفكر الإسلامي : قراءة علمية ص 117

7 - خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني ، محمد المخزومي ، بيروت 1931 ص 88

- الفكر العربي ، محمد أركون ص 149

8 - الفكر الإسلامي : قراءة علمية ص 17

- الفكر العربي ص 160

9 - الإسلام والحداثة صص 63 - 91

10 - قد يعبر : الفكر الإسلامي : قراءة علمية لمحمد أركون نموذجا لها

11 - جلال الدين عبد الرحمان السيوطي : الانتقان في علوم القرآن ، المكتبة الثقافية بيروت

لبنان 1973 ، ج 2 ، ص 20

- جلال الدين محمد بن أحمد المحلّي وجمال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي : تفسير القرآن العظيم مطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركائه (د ت) ج 2 ص 149

12 - الطبري : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل أي القرآن) ، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر (ب ت) ج 2 ص 472
- الإتيقان في علوم القرآن ج 2 ص 21.

13 - مما ذكر الجلالان في تفسيرهما ج 2 ص 150 « أن عليا بن أبي طالب مرّ على قاض فقال له : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا فقال علي : هلكت وأهلك . وقد أورد السيوطي في « الإتيقان » ج 2 ص 20 الخبر نفسه .

14 - تفسير الطبري ج 2 ص 472 والإتيقان في علوم القرآن ج 2 صص 20 - 21 وتفسير الجلالين ج 2 ص 152 ، ومحمد الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر 1984 الجزء الأوّل ، الكتاب الأوّل صص 656 - 658 ، ومما أورد هؤلاء المصنفون أيضا : السور التي ليس فيها ناسخ ولا منسوخ والسور التي فيها الناسخ والمنسوخ والسور التي فيها منسوخ فقط : والآيات المنسوخة حكما وتلاوة والآيات المنسوخة حكما بون تلاوة ...

15 - الإتيقان في علوم القرآن ج 2 ص 21 والتحرير والتنوير ج 1 ك 1 ص 661
16 - الإتيقان في علوم القرآن ج 2 ص 24
17 - التحرير والتنوير ج 1 ك 1 صص 654 - 656 والإتيقان ج 2 ص 21 وتفسير الجلالين ج 2 ص 154

18 - التحرير والتنوير ج 1 ك 1 ص 655
19 - تفسير الطبري ج 2 ص 471 والتحرير والتنوير ج 1 ك 1 ص 657
20 - تفسير الطبري ج 2 صص 471 ، 479 ، والتحرير والتنوير ج 1 ك 1 صص 658 - 659

21 - التحرير والتنوير ج 1 ك 1 ص 659
22 - التحرير والتنوير ج 1 ك 1 ص 659
23 - التحرير والتنوير ج 1 ك 1 ص 655
24 - الإتيقان في علوم القرآن ج 2 : ص 20
25 - إن سيادة الفقه النظري برزت بدما من عصر التنوير ، أنظر : مصطفى الزرقاء : « المدخل الفقهي العام » ، مطبعة جامعة دمشق 1957 صص 125 - 126 .

26 - انظر نماذج من الحيل الفقهية في : (ابن قيم الجوزية : اعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1955 ، ومحمد بن ابراهيم : الحيل الفقهية في المعاملات المالية ، الدار العربية للكتاب 1983)

27 - الإتيقان في علوم القرآن ج 2 ص 24
28 - الإتيقان في علوم القرآن ج 2 ص 21

- 29 - تاريخ المدينة المنورة لابن شبة تحقيق فهد محمد شلتوت : دار الاصفهاني للطباعة
بجدة 1393 هـ ، ج 2 : صص 707 - 709 و 712
- 30 - تاريخ المدينة المنورة ج 3 صص 990 - 1017 والإتقان في علوم القرآن ج 2 صص
25 - 26
- 31 - تفسير الجلالين ج 2 صص 150 - 151
- 32 - رسائل الجاحظ الكلامية : قدّم لها وبيها وشرحها الدكتور علي أبو ملح ، منشورات
دار مكتبة الهلال ط 1 1987 ص 172
- محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي (د ت) ج 2 ص 121
- 33 - قال عثمان أيام حوصر : « ما كنت لأخلع سريالا أيسنيه الله » (تاريخ المدينة
المنورة ج 4 ص 1161)
- قال زياد (الأموي) : ... « إنّنا أصبحنا لكم ساسة ومنكم زادة نسوسكم بسلطان الله الذي
أعطانا ونذود عنكم بغيء الله الذي خوّلنا » (تاريخ الطبري ، منشورات مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات بيروت لبنان ، (د ت) ج 4 ص 166)
- قال المنصور (العباسي) : إنّما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوقيفه وتسديده وأنا
خازنه على فيئه ، أعمل بمشيئته وأقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه قد جعلني الله عليه قفلا إذا شاء
أن يفتحني لأعطيتكم وقسم فينكم وأرزاقكم فتحني وإذا شاء أن يقفلني أقفلني ... » (تاريخ
الطبري ج 6 ص 331)
- روي عن أبي جعفر قوله : « نحن (أئمة الشيعة) حجة الله ، ونحن باب الله ، ونحن لسان
الله ، ونحن وجه الله ، ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمر الله في عبادته (المجلسي ، بحار
الأنوار ط 3 بيروت 1983 ج 25 ص 384)
- 34 - حاول الجاحظ أن يحمل هذه المسائل الخلافية مبررا دور السلف في الحد منها
(رسائل الجاحظ الكلامية) صص 130 - 133)
- 35 - تاريخ المدينة المنورة ج 3 صص : 990 - 104
- 36 - رسائل الجاحظ الكلامية صص 130 - 133
- 37 - أحمد محمد الحوفي : أدب السياسة في العصر الأموي - دار نهضة مصر للطبع
والنشر ط 5 1979 صص 37 - 143
- 38 - أدب الساسة ص 122 - 125
- 39 - رسائل الجاحظ الكلامية صص 243 - 245
- 40 - تاريخ الطبري ج 6 صص 147 - 149
- 41 - تاريخ المذاهب الإسلامية ج 2 : محنة أبي حنيفة صص 153 - 160 ومحنة مالك
صص 204 - 206 ومحنة الشافعي صص 233 - 235 ومحنة ابن حنبل صص 297 -
301 ومحنة ابن حزم صص 372 - 375
- 42 - محمد عبد الله دراز : الدّين ، دار القلم ، الكويت ، ط 3 1974 صص 177 - 180

- 43 - الدّين صص 177 - 180
- 44 - محمد عزيز الحبابي : الشخصانية الإسلامية صص 141 - 142
- 45 - تفسير الجلالين ج 2 ص 160
- 46 - الإِتقان في علوم القرآن ج 2 ص 26
- 47 - الإِتقان في علوم القرآن ج 2 ص 26
- 48 - أخرجه أبو داود في أول كتاب الملاحم
- 49 - يحسن أن نذكّر أن حسن حنفي قد حاول في كتابه Les méthodes d'exégèse
- Essai Sur Les fondements de la compréhension Le Caire 1965
- الإِنطلاق من أسباب النزول ليبين إمكانية تأويل القرآن حسب حاجات الأمة الإسلامية الحاضرة ، وأنّ الطاهر الحداد قد أكد في كتابه : (امرأتنا في الشريعة والمجتمع ، تونس 1972 صص 22 - 23 (ط 1 ، 1930) أن الإسلام جوهر خالد (التوحيد ، الأخلاق ، العدل ، المساواة ...) وعرض متحول (الأحكام التي سنّها للمجتمع إبان نزول القرآن)
- 50 - قال تعالى : « وإن خفتن ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعولوا » النساء آية 3 .
- 51 - قال الله تعالى : « الرّجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ... » النساء آية 34
- 52 - قال الله تعالى : « يوسيكُم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين .. » النساء آية 11
- 53 - قال الله تعالى : « إنّما أجزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلّوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » المائدة آية 33
- قال الله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » المائدة آية 38
- قال الله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أنّ النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص ... » المائدة آية 45
- 54 - التوبة آية 5 (اثبتنا الآية في متن الدراسة)
- 55 - قال الرسول : « من بكّد دينه فاقتلوه » (الماوردي : الأحكام السلطانية ، « تحقيق » خالد رشيد الجميلي بغداد 1409هـ - 1989 م - ص 95)
- 56 - من اجتهادات عمر الدالة على عمق إحساسه بالزمن ومصلحة الأمة رفضه العمل بالآية 41 من سورة الانفال التي « تبيح » توزيع أرض سواد العراق وفارس على الفاتحين (الأحكام السلطانية ص 299 وتاريخ المذاهب الإسلامية ج 2 ص 14) وابتداعه قيام رمضان / صلاة التراويح (تاريخ المدينة المنورة ج 2 ص 713) وتحريمه متعة النساء (المرجع نفسه ص 717) وجلده في الخمر ثمانين (المرجع نفسه ص 731) وتركه الزكاة عام الرمادة (المرجع نفسه

انتزاعان في العهد الحسيني وقبل صدور دستور « عهد الأمان »

بقلم : محمد بن الأصغر

لنا قناعة تتمثل في أن القانون الوضعي لا يزال أخطر روافد الحداثة الفكرية والحضارية، وأن تطبيقه في بلدان العالم الإسلامي أكثر خطورة من الأخذ بالفكر الفلسفي مثلا ، لأن القطيعة بين القانون الوضعي والشرع أشد حدة من القطيعة بين الدين والفلسفة اللذين لهما مجال يلتقيان ويتصالحان بواسطته كعلم الكلام على سبيل المثال ... بينما يتعارض الدين مع القانون بمقتضى الآية: « ومن لم يحكم بما أمر الله فاولئك هم الكافرون »

لقد دأبنا على جعل الأخذ بالقوانين والنظم الوضعية الغربية من طرف التونسيين كان دائما لحماية الأجنبي فهذا دستور عهد الأمان يُسنُّ يوم 10 سبتمبر 1857 ومن أسباب سنّه قضية اليهودي المسعّى باثو سفير Batto Sfez (1) الذي اتهم بلعن مسلم وسبّ دينه وقد كان "سفير" في تلك الأثناء في حالة سكر وهذا الأمر العليّ المؤرخ في 27 نوفمبر 1988 والمتعلق بالخصام الإداري يجد ملابسات بروزه في الحرص على ضمان حقوق الجالية الإيطالية بتونس (!) (2) حسب الأستاذ روني شاببي René chapus لكن هناك ظروف حدثت جعلت السلط التونسية تلتجئ إلى آليات القانون الوضعي الغربي دون ارتباط شديد بالضغط الصادر عن طرف أوروبي . ومن هذه الظروف انتزاعان صدر أولهما بالقيروان في عهد حسين بن علي باي (1705 م - 1735 م) وصدر ثانيهما بضاحية حلق الوادي في عهد المشير أحمد باي الأول (1837 م - 1855 م) .

ولعله من المفيد الإشارة أن الانتزاع الأول حدث في وقت بعيد عن فترة صدور دستور عهد الأمان وأن ثانيهما صدر قبل سنوات قليلة من صدور الدستور المذكور
أولا : انتزاع القيروان والأموال السلطانية :

من المعلوم أن من أهم الأزمات التي عرفها حسين بن علي باي مؤسس البيت

الحسيني (12- 07- 1705) بعد أن استتب له الأمر ، هو ما عرف بالغتة الحسينية الباشية وهي صراعه مع ابن أخيه علي باشا من أجل حرمان هذا الأخير من ولاية العهد وإعطائه في المقابل لقب (الباشوية) (3) وقد انتهى المستقر بعلي إلى القيروان (4)

وأثناء حياته بالقيروان انجز حسين بن علي أول عملية انتزاع في تاريخ الدولة الحسينية (1705م - 1882 م). وتتمثل الوقائع في إسناده لدار كانت على ملك المسمى محمد بن عيسى (5) إلى واحد من أنصار البايع هو المسمى أحمد الزيش وكان ذلك سنة 1152 هـ (5).

وإذ لم يشتر حسين بن علي باي الدار من صاحبها محمد بن عيسى وتحصل عليها بصفته الأميرية فهو قد مارس مؤسسة الانتزاع على أن الانتزاع حسب القوانين التي أحدثته وهي القوانين الغربية له جملة من الشروط أهمها : (6) * أن مصْرِف العقار المنتزَع ومبرره هما المصلحة العامة .

* أن تُبدل لقاء العقار المنتزَع الغرامة العادلة لكن الوثيقة التي انطلقنا منها لا تقيد أن مصرف العقار المنتزَع هو المصلحة العامة ، أو مصلحة المسلمين وإنما قد آلت إلى الحاج أحمد الزيش الهذلي (7) كما أن الوثيقة نفسها لا تدل على دفع غرامة الانتزاع للمنتزَع منه العقار المسمى محمد بن عيسى القيرواني بل إنما كان الانتزاع عقاباً له على الخروج عن طاعة الأمير (!) والتمسك بجانب العدو (!) ونكت البيعة (!) (7)

أوّلاً : 1 الأموال السلطانية

إنّ ما يلفت الانتباه أن الوثيقة استعملت لفظ انتزاع بمقولة : « حيث يقتضي نظره بعد انتزاعها من يد مالكها ... » (7) فهل أن الانتزاع كان في وقت من الأوقات من مصادر الأملاك العمومية للحكومات الإسلامية ؟

لقد كانت الأملاك العمومية في الحكومات الاسلامية ، تعرف بالأموال السلطانية وهي أصناف ثلاثة حسب تصنيف شيخ الاسلام ابن تيمية وهي : الغنيمة والفيء والصدقات (8) فالغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار بالقتال (9) والفيء هو ما أخذ من الكفار بغير قتال (10) أمّا الصدقة على الفقراء والمساكين والعاملين عليها

والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والفارمين وابن السبيل (11) ... إلخ
وإذ لا رابع لهذه الأصناف الثلاثة من الأموال السلطانية فالسؤال الذي يبقى قائما
هو : من أين دخل لفظ - الانتزاع - في التوثيق التونسي حسب وثيقة إحالة الدار
المنتزعة إلى الحاج أحمد الزيش ؟

على أننا نلاحظ أن كلا من الغنيمة والفيء والصدقة تتسلط على المنقولات دون
العقارات لتغذي الأموال السلطانية ولتتميتها ، فهل هناك أحكام خاصة بالعقارات

أولا : 2 ، الأرض الموات

ان احياء الأرض الموات من أسباب الملكية ، فهل تنتزع أرض من صاحبها الذي
لم يحيها فصارت مواتا ؟

ان الأرض الموات ليست فقط الأرض التي لا عمارة فيها بل هي التي تجمع
شرطا آخر بما ذكر وهي أن تكون الأرض التي لا يملكها أحد (12) بمعنى اذا
كان للأرض مالك فهي لا تأخذ منه لتصبح ملكا لمن يحييها ضرورة انه لا بد من
اجتماع الشرطين ...

فطبيعة الأرض الموات ليست هي المدخل للانتزاع ... بل إن الإمام عليا مثلا قد
أمر باعانة الفلاحين ذوي الصناعات وذلك باعفائهم من الآدات (13) وذلك حتى
يتوصلوا إلى إحياء اراضيهم فلا تصير مواتا .

فمن أين جاء حسين بن علي بآلية الانتزاع ؟

أولا : 3 ، الانتزاع ردعا للجفسي ؟

رأينا أن الوثيقة التي تضمنت الانتزاع قد اشتملت على عبارات مثل « ... أموال
البغاة الخارجين عن طاعة من وجبت طاعته » (7) فهل اذا ثبت الخروج عن طاعة
الأمير صاحب الولاية أمكن انتزاع أموال المارق عن الطاعة ؟

من الثابت شرعا ان « ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين » (14)
حتى انه اذا خرج ثلاثة في سفر أمروا واحدا عليهم (14) لكن لم يرد ما معناه
أن المروق عن الطاعة يوجب عقوبة انتزاع بل مصادرة الأموال ...

فإذا كانت الحدود جرائم محصورة بالعد ، فإنه هناك جرائم التعزير وأمرها
متروك للقاضي يعاقب عليها بالعقوبة التي يراها كفيلة باصلاح حال المتهم (15)

ويعتبر ابن تيمية من أشهر من صنّف جرائم التعزير في نطاق اهتماماته بالسياسة الشرعية وقد عدّها بعد أن أخرجها من دائرتين ، وهما دائرة المعاصي التي لا حدّ فيها أولاً ودائرة المعاصي التي لا كفارة فيها ثانياً (16) وأورد عدداً من معاصي التعزير على سبيل المثال لا الحصر بحيث يمكن أن تمثل معصية البغي والخروج عن طاعة الأمير لكن تبقى الصعوبة على مستوى العقوبة فالتشريع الاسلامي قد تعرض للعقوبات في إطار التعزير (17) ولم يتعرض لعقوبة من قبيل الانتزاع أو المصادرة (1) رغم تعرضه لعقوبات تقترب من المصادرة باعتبارها ترمي إلى الحرمان من الرزق مثل عقوبة الحرمان من الميراث (17) إلخ ..

كما انه يبدو أن عدم التنصيص على الانتزاع كعقوبة في إطار التعزير لا يعني أن الانتزاع بدعة باعتبار أن التعزير لا يقبل الحصر لقول ابن تيمية « ... فليس لأقل التعزير حد ، بل هو بكل ما فيه إيلاء الإنسان من قول وفعل وترك قول وترك فعل » (18) بحيث يصل التعزير إلى حدّ قطع الخبز (18) أي التجويع بإزالة سبب الرزق وإلى حدّ عزل أمير (18)

ويبدو أن حسين بن علي باي قد اعتبر أن الانتزاع أهون من القتل باعتبار أن ما أتاها محمد بن عيسى القيرواني يوجب القتل لأنه عمل على تفريق الأمة .. « رجل يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » (19) [حديث نبوي شريف] ، إلا أنه وعلى المستوى الحضاري وبمعزل عن الفكر التشريعي والقانوني يبقى السؤال قائماً وهو : من أين جاءت فكرة الانتزاع المجهولة عصرئذ في النظام القانوني المنطبق ؟

ان استعمال الموثق للفظ - انتزاع - لا ينبغي أن يحيلنا بالضرورة على الإنتزاع المعروف في النظم القانونية الغربية والذي أصبحنا نعمل به في تونس منذ 30 أوت 1858 ... بل هو المعنى اللفظي المقصود به تجريد فرد أو مجموعة من أملاكها والدليل أن ما انتزع من طرف حسين باي لا هو قد صرف إلى مصلحة عامة ولا هو قد كان لقاء غرامة انتزاع عادلة ...

والواضح انه انتزاع أي تجريد من ملكية لا أكثر ولا أقل استمد من آليات الغنمية والفيء إلا انه قد نفذ على مسلم أو على غير كافر ثم هو قد نفذ في

عقارات لا في منقولات.

فإذا اكان تغيير طبيعة المنفذ فيه يجد تفسيره في تطوّر الأحوال العمرانية والتعميرية للبلدان الإسلامية حيث كثرت العقارات منذ تعمير الكوفة (20) بينما لم تكن الأراضي تثير اهتمام المسلمين الأوائل شأنها شأن نظام الاقطاع الذي وجدوه في البلدان المحتلة الجديدة (21) بحيث أصبحت العقارات ذات قيمة أهم من المنقولات التي كانت قوام الغنيمة والفيء ،فان تنزيل الانتزاع (أي نزع الملكية) على المسلم هو الذي يثير الاشكال باعتبار أننا قد قارنا الانتزاع بالغنيمة والفيء، وباعتبار أنّ هاتين الآليتين لا تنفذ إلاّ على غير المسلم. فهل أن حسين بن علي باي قد التجأ إلى فتوى الفقهاء الأربعة من أجل هذا السبب ؟

اعتبر الشيخ ابراهيم بويديح أن تصرف حسين بن علي باي صحيحا وسلط فتواه على العناصر الآتية :

- أ - ان الدار هي ملك لبيت المال
- ب - ان حسين بن علي موكل له بالتصرف في أموال بيت المال كماير انعقدت له الشرعية
- ن - أنه هناك فتاوى في الاتجاه لابن عرفة (22) والبرزلي (23) وقد نقل عظم (24) فتوى البرزلي في البرنامج (25)

أمّا الشيخ عبد اللطيف الطوير (26) صاحب الفتوى الثانية فقد سلك مسلكا سابقه على أساس العناصر الآتية :

- أ - ما دخل لبيت المال فاللناظر في فواضلها اصرافه (كذا) حيث شاء في وجه من أوجه المصالح
- ب - انه هناك فتاوى وأحكام لابن حمددين (27) والبطريني (28) والبرزلي (23)
- ت - ان الحوز وهو شرط صحة الهبة متوفر في فتوى الحال وقد اعتمدت الفتوى الثالثة التي لم يتوصل الطويلي لمعرفة اسم صاحبها (29) على نفس عناصر الفتوى السابقة

أمّا الفتوى الرابعة والأخيرة فهي لم تضيف شيئا لما سبقها من الفتاوى وذهبت مذهبها في تحليل تصرف الباي (30) فماهي القيمة الشرعية لهذه الفتاوى ؟

سوف نغض الطرف عن وضعية حسين بن علي باي كفار ولاجئ إلى القيروان وسنعتبر أنه أمير كامل الصلاحيات بحيث له حق التصرف في أموال بيت المال .
فهل أن الانتزاع هو من آليات وتقنيات تنمية موارد بيت مال المسلمين مثلما ذهب إلى ذلك الفقهاء العدول الأربعة الذين استند إليهم حسين بن علي باي ؟

أولاً : 4 : مصادر أموال بيت المال والانتزاع

إن فتوى كل من الشيخ إبراهيم بويديح والشيخ عبد اللطيف الطوير وصاحبي الفتوى الثالثة والرابعة لم تشر إلى مدى شرعية الانتزاع أو المصادرة وقفزت إلى المرحلة الثانية في المصادرة وهي انتماء الملك المصادر إلى بيت المال لتبوء باقي المراحل ذات طابع شرعي باعتبار أنه للأمير حق التصرف في أموال بيت المال خاصة وأن الحوز الذي هو شرط الهبة متوفر ...

وواضح أن عدم البحث في شرعية تغذية أموال بيت المال بالأملاك المصادرة والمنتزعة من المسلمين هو أمر مقصود لتلافي الإحراج ... إحراج الأمير خاصة الذي يبدو أنه التجأ إلى هؤلاء الفقهاء الأربعة ليطلوا تصرفه بطابع شرعية لعله كان يعتقد أنها مفقودة .

فهل من صلاحيات هؤلاء الفقهاء تحليل وتجريم التصرفات ؟ وهل أن مصادرة أملاك المسلمين مصدر من مصادر تنمية رصيد بيت مال المسلمين ؟

أولاً : 4 ، صلاحيات الفقهاء القيروانيين الأربعة

نحن لا نعلم الا هوية الفقيهين الأولين إبراهيم بويديح وعبد اللطيف الطوير القيرواني ، أما الثالث والرابع فهما مجهولان بالنسبة إلينا .

فبعد اللطيف الطوير القيرواني قد درس بتونس (الزيتونة) (31) والقاهرة (الأزهر) (31) وانتصب للتدريس بالزيتونة ثم في القيروان أين درس وتقلد القضاء والافتاء (31)

أما إبراهيم بويديح فهو من عدول القيروان (32) أما صاحب الفتوى الثالثة والرابعة فغير معروفين حسب الدكتور أحمد الطويلي (33) فهل لهذه التشكيلة من الفقهاء صلاحيات الإفتاء لمجرد انتساب الأربعة إلى العلوم الشرعية لعدالة الاشهاد ؟

أن حسين بن علي عندما استتب له الأمر وقبل أن يهرب إلى القيروان كان يستعين بالمجلس الشرعي بشهادة المفتين في مادة الجنايات والقصاص في النفس والأطراف على الأقل وذلك (34) بعد أن جرد الداي من تلك الصلاحية المطلقة (34) ...

ومن المعلوم أن حسين بن علي تعرض لقضاة العساكر الوافدين من اسلامبول وحال دون ظلمهم في قضايا في قسمة التركات (34) ثم سعى لدى الباب العالي للكف عن ايفادهم وتعويضهم بعلماء من أبناء العسكر في الحاضرة ووقعت الإستجابة له وأصبح (الأفندي) قاضيا من أبناء العسكر المولودين بتونس (35) ، وهكذا نرى أن حسين باي كان أميراً يمارس الحكم المطلق لكن مع الاستثناس برأي أهل الشرع ولعل ذلك من باب الإذعان لمؤسسة الشورى بحيث قام الفقهاء الأربعة بدور مشيخة الإسلام . حيث يقول الشيخ ابن تيمية ، أولو الأمر صنفان ، الأمراء والعلماء وهم الذين اذا صلحوا صلح الناس (36) وقد رأى أربعة العلماء ما رآه ابن ابي الضياف من ضرورة التمسك بطاعة (الإمام) الذي يبعثه في أعناقهم لذلك فانه قد رأى في شفق الأربعة من أعيان القيروان ظلما لانه لا ذنب لهم سوى مقاتلة الخارجين على البيعة وهم بغاة (37)

ولعل سكوت الفقهاء الأربعة عن مسألة المصادرة لم يكن مقصودا بل انهم رأوا في ذلك بديهة يبررها البغي ومناصرة البغاة والخروج على الطاعة وعن البيعة .

الناحية الشكلية :

يبدو أن حسين بن علي قد اكتفى بتوفر انتساب الشخصيات الأربعة إلى العلوم الشرعية والأشهاد أما انعقاد المجلس الشرعي فهو لم يحصل على الأقل من الناحية الشكلية ذلك انه ومنذ زمن النولة المرادية وعلى عهد مراد باي الثالث الذي سبق حسين بن علي - وقد كان حسين من موظفيه السامين - فعلم بتنظيماته وتراتبية الإدارية .

منذ ذلك العهد ترسخت مؤسسة المجلس الشرعي وقد وأصلها بأن أصبح هناك قاضيان من مذهبين مختلفين هما المذهب المالكي والمذهب الحنفي (38) ولجانِب كل منهما نائب كل من مذهبه ومفت من كل مذهب (38) من المذهبين .. ثم أصبح

كل من المذهبين المالكي والحنفي يعتقد على حدة (39) الخ .
ولكن هذه التشكيلات انما هي تشكيلات قضائية لا يمكن اعتبارها من أهل
الشورى ...

ومن باب أولى وأحرى فان الفقهاء الأربعة الذين استفتاهم حسين بن علي باي
في انتزاع القيروان ليسوا من أهل الشورى وان كان عبد اللطيف الطوير مفتيا .
الناحية الجوهرية :

انه من الواضح تاريخيا أنَّ مشيخة الاسلام (39) في تونس ومثلما سبق بيانه
قبله إنما هي تشكيلة قضائية وليست مجلس شورى بالمعنى المقصود في السياسة
الشرعية (40) حيث جاءت المؤسسة استجابة لقول الله تعالى : « فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الأمر - آل عمران - 159 » (40).

فعندما تكون مشيخة الإسلام مؤسسة (شورى) فإنها ترتقي إلى مصاف
المؤسسات السياسية مثلما حدث في تركيا قبل ظهور الباب العالي تجسيما
لأدبيات وثيقة التنظيمات (41).

فقبل أن يؤسس نظام الباب العالي لم يكن للصير الأعظم (أي الوزير الأول)
ولا للوزراء سلطة يتقاسمونها مع السلطان (41) بل كان السلطان يساعده
الديوان (41) وتقوم مشيخة الإسلام بنور الشورى (41). ففضلا عن أن تونس لم
تكن لها مؤسسة شورى وعن أن المجلس الشرعي حتى في صورة انعقاده انعقادا
شرعيا وقانونيا فإنه لم يثبت أن الفقهاء الأربعة كلهم قضاة ومقات باستثناء الشيخ
عبد اللطيف الطوير القيرواني ويبسود أن البقية عدول إلهاد ... مما يعني أن
حسين باي كان لا يطلب أكثر من فتوى تريخ ضميره .

فهل لعدول الإلهاد صلاحية الافتاء ؟

وهكذا نتخلص إلى أن حسين بن علي باي المتعود بالاستثناس برأي علماء الدين
ونون أن يكون ذلك في إطار الشورى بمعناها المؤسساتاتي فإنه - وليطمئن قلبه - قد
استفتى من أمكن استفتاؤهم من الفقهاء لا أكثر ولا أقل . فهل فتوا يعلم ؟

**أولا 4 = 3 ب : هل تتغذى أموال بيت مال المسلمين من مصادرة أو انتزاع أملاك
المسلمين حتى لو ثبت عليهم البغي ؟**

رأينا أن الفقهاء الأربعة ابتدأوا من مرحلة انتماء دار محمد عيسى القيرواني إلى أرصدة بيت مال المسلمين ولم يبحثوا عن شرعية طريقة صيرورة تلك الدار من أموال هذا البيت من عدمها وهي طريقة انتزاع أو مصادرة سلط على أملاك مسلم لأنه ناصر علي باشا المارق على السلطة الشرعية لحسين بن علي باي فعد بغيا ؟

يعتبر ابن خلدون غصب أملاك الغير بدون وجه شرعي ولا تعويض عادل ظلما وذلك من وجهة النظر الشرعية الإسلامية (42) فهل أن مرور دار محمد بن عيسى بمرحلة بيت مال المسلمين قبل التبرع بها من طرف حسين بن علي ظلما أم هي عمل جائز ... ؟

إن النظر في مختلف الموارد التي تتكون منها أرصدة بيت مال المسلمين والتي هي زيادة عن الأموال السلطانية أي زيادة عن الغنائم والفيء والصدقة (8) فهي الخراج والجزية والعشر والخمس والمعادن والفلزات والأموال التي لا مالك لها أو التي لا وارث لها (43) وهي في جميع الحالات ليست نتائج وثمار المصادرة والانتزاع لأموال المسلمين .

فالنتيجة من كل ما تقدم أن حسين بن علي باي لم يحترم أحكام الشرع الإسلامي عند ما صادر ملكا عقاريا قام فيما بعد بهبته لغير صاحبه هذا وإن القانون الذي يجهل مصادرة أملاك المسلمين فحتى الأرض الموات لا تصبح ملكا لخدامها إلا إذا لم تكن ملكا لأحد . وتبقى ثلاثة احتمالات لا رابع لها تبرر عملية الانتزاع وهي التفرغيم أو البغي أو القانون اللانكي .

***التفرغيم:**

قد يكون حسين بن علي ابتدع العقوبة في إطار عقوبات التفرغيم غير المقيدة ولا المحصورة وذلك مثلما سبق بيانه ... لكن نص التوثيق تضمن لفظ (البغي) والبغي موجب لإقامة الحد لا للتعزيز .

***البغي:**

لقد ساند محمد بن عيسى الباشا علي فكان أن شق عصا الطاعة في وجه الإمام الشرعي بمقتضى المبايعات ... فهذا هو البغي ولكن عقاب البغاة هو القتل مثلما سبق

بيانه وليس مصادرة الأملاك أو انتزاعها .

* القانون اللاتكي :

إذا كان التفرير عقوبة أقل أهمية من البغي وإذا كانت مصادرة الأموال عقوبة أقل حدة من العقوبة المستوجبة في البغي وهي القتل ... فمن المتوقع أن حسين بن علي باي الذي لئن ثبت استثناسه برأي الفقهاء ودون الأخذ بمؤسسة الشورى على مقتضى الشرع قد تأثر بشكل ما بالقانون اللاتكي . ولنا قرينتان على ذلك :

الأولى : أن نص الوثيقة نفسها تضمن لفظ (انتزاع) مثلما سبق بيانه ... واتجه الأخذ بالمعنى الاصطلاحي ...

وثانيها : أن القضاء اللاتكي قد وجد بشكل ما من الدايات وحتى القرن 19 حسب المؤرخ رويابرنتشفيك (44) . وإذا لم نأخذ بواحدة من هذه المبررات الثلاثة فإن الانتزاع قد كان ضربا من ضروب الهوى وهو أيضا تغويل ممكن لأن عملية الانتزاع قد انطوت على ظلم مثلما قال ابن خلدون ... لكن تبقى مسألة التفتح على النظم القانونية الغربية أكثر إلحاحا ... كما سنرى في انتزاع حلق الوادي .

== نانيا انتزاع حلق الوادي والكنائس اليهودية في دار الإسلام :

تتمثل وقائع انتزاع ضاحية حلق الوادي في أن الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تدير 78 كنيسة ،كانت أقامت الشعائر بحلق الوادي منذ سنة 1769 (45) ... ثم وفي سنة 1836 شيدّ القس بيانييلي Le Pere Pianelli مقر الكنيسة من الخشب وكانت متواضعة (45) وبعد عشر سنوات أي خلال سنة 1846 اضطر المشير أحمد باشا إلى توسيع ثكنة المكان فحقق رغبته ومكن إدارة الكنيسة من أرض ثانية وكانت داخل المدينة وهي أكثر اتساعا (45) وهي الكنيسة الحالية الواقعة بحي صقلية بحلق الوادي .

والواضح هنا أن أركان الانتزاع كانت محترمة ويقدر كبير فمبرر الانتزاع كان بالفعل مصلحة عامة تمتثل في توسيع ثكنة حلق الوادي (6) أما التعويض فقد جاء عينيا أي معاوضة عقار بعقار وهذا أيضا ممكن لأن التعويض بين الإدارة والمواطن المنتزاع ملكه يمر بمرحلة صلحية (46) والصلح فرصة إما للتعويض أو للاتفاق حول الثمن ... ثم يقع الالتجاء للمحاكم وعندها لا يكون التعويض إلا بالمال .

فلا غرابة أن يسجل مثل هذا التطور القانوني والحضاري وذلك لثلاثة أسباب على الأقل :

أ) بعد تسع سنوات من انتزاع حلق الوادي يصدر دستور عهد الأمان في سنة 1857 وسينص « الركن الثالث : في أمانة المال ، للمال من الحرمة ما يقارب حرمة النفس والإنسان تؤكد الأمان التام لكل ذي نسب من رعيتنا على اختلاف الأديان ... وعلى سائر ما يملكه ... منقولاً أو غير منقول لا يغصب على بيعه ولو بأضعاف القيمة إلا برضاء(47) .

ب) بعد عشر سنوات من انتزاع حلق الوادي سيصدر الأمر العلي المؤرخ في 30 أوت 1958 المتعلق بتأسيس بلدية تونس وسيضمن فصله الحادي عشر إجراءات الانتزاع وطرق تقدير التعويض(48)

ج) بعد ثلاثة عشر عاماً سيصدر دستور 26 أفريل 1861 وسينص على مبدأ أنه لا ينتزع ملك أحد إلا من أجل المصلحة العامة وإلقاء غرامة انتزاع عادلة وذلك بالعبارات اللغوية المناسبة للوقت « الفصل 89 ... لا يجبر أحد منهم ولا توضع يد على كسب لأحد بأي وجه إلا لمصلحة عامة كتوسعة الطريق ونحوه بثمن المثل » (49)

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لكن وفي حقيقة الأمر فإن انتزاع حلق الوادي قد حدث قبل صدور دستور 26 أفريل 1861 وقبل صدور الأمر الخاص بإحداث بلدية تونس والمتضمن لمؤسسة الانتزاع وقبل النصوص المتوالية الغرض وهي أوامر 1905/9/5 و 1925/7/2 و 1939/3/9

فكيف كان ذلك ؟ أم للصيغة الخاصة التي للكنائس والدير ؟

ثانياً ، 1 ، الكنائس في دار الإسلام :

نظمت البلدان الإسلامية تواجد الذميين من النصارى واليهود في أراضيها ومنها أنه للذمي حق الملكية(50) وأنه على المسلمين حماية ممارسة الشعائر من طرف الذميين وهذا حسب الأساتذة جان لعجيلي يقتضي تواجد البيعات والكنائس في البلدان الإسلامية(50) وهو أمر منطقي .

ثانياً ، 2 ، الشعائر المسيحية بتونس :

رأينا أن البلاد كانت تعد 78 كنيسة(45) ويذكر لويس قرانك أن إقامة الشعائر الكاثوليكية (وهي شعائر مسيحية) كانت حرة على الإطلاق (51) وذكر أيضا أن في العاصمة كانت كنيستين صغيرتين (51) يسيرها قساوسة إيطاليون واسبانيون ، فضلا عن كنيسة القنصلية الفرنسية التي كُفّت عن دق الأجراس والاكتفاء بأداء القداس فقط أيام الأحد منذ قيام الثورة الفرنسية (52)

فمن المعتقد أن يكون القساوسة المسيحيون من ايطاليين واسبانيين هم الذين اقتنوا الأراضي التي أقاموا عليها كنائسهم لكن في قضية انتزاع حلق الوادي نجد الباي أحمد هو الذي يتدخل ليمنحهم من اختيار مكان أكثر سعة لإقامة كنيستهم في إطار تنفيذ عملية الانتزاع . فهل ذلك جائز ؟

ثانيا = 2، ب ، إذا هدمت كنيسة لا تعاد (1)

جاء في كتاب الاشياء والنظائر نقلا عن الإمام السبكي أنه إذا هدمت كنيسة ولو بغير حق لا يجوز إعادتها(53) أي أنه لا يجوز شرعا إعادة بناء كنيسة إذ كانت هدمت ... ويبعد أن الأمر قد تكرر في مصر حيث أغلقت كنيسة بحارة زويلة بالقاهرة من قبل الشيخ محمد بن إلياس قاضي القضاة ولم يجرؤ أحد على فتحها رغم ورود الأمر السلطاني بإعادة فتحها (54) <http://Archiv>

إلا أن أحمد باي وهو حنفي المذهب مثل ابن نجيم وابن عابدين قد نظم مسألة انتزاع الكنيسة القديمة بحلق الوادي ووفر أسباب بناء كنيسة جديدة . ومن هنا نفهم أن أحمد باي لم يتصرف طبق الشرع في قضية انتزاع كنيسة حلق الوادي بل تصرف بعقلية القانون اللاتكي الأوروبي أي من خلال مؤسسة الانتزاع بالرغم من أن النص القانوني وكذلك دستور الدولة التونسية لم يصدر بعد ... وقد سبق الأحداث ، أحداث تنظيم الانتزاع طبق النصوص الوضعية بعشرية كاملة وأكثر منها ببضعة سنوات . وأن ما صدر عن أحمد باي يمكن أن يكون هو عينه ما صدر عن حسين باي في قضية الانتزاع بالقيروان أي أن كلا منهما كان مستندا إلى القانون اللاتكي وهنا يبقى اللغز قائما وهو أن توثيق انتزاع القيروان الذي حدث في بدايات القرن الثامن عشر استعمل لفظ (انتزاع) بينما أن نص قانون الدولة التونسية في نصّه قد استعمل عبارة (وضع اليد)

المصطلح ؟

الأغلب على الظن أنه استعمل لفظ انتزاع على وجه اللغة لا المصطلح وإن كان استعمل آليات الانتزاع بدون تعويض أي المصادرة والتسخير . وهكذا فإن الحكام التونسيين لم يعتدوا دائما على الأحكام الشرعية وقد التجأوا إلى نظم القانون اللاتيني والغربي عندما اقتضت الضرورة ذلك .

وختاما فإننا عندما نعتقد أنه من التلغيق محاولة ايجاد أدلة من القرآن والسنة مثلما قام بذلك الأستاذ محمد الحاج الناصر (55) لأن الانتزاع لا أصل له لا في القرآن ولا في السنة وأن الأخذ به هو تطور ايجابي على الحداثة التشريعية .

* الإحالات :

1. Mustapha Kraiem la tunisie precoloniale - Tome 2 - STD - Tunis

1973 : 256 - 257 pp

2 - عياض بن عاشور - القضاء الإداري وفقه المرافعات الإدارية في تونس - دار سبراس للنشر - تونس 1995 - ص 50 .

3 - أحمد بن أبي الضياف - اتحاد أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان - الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر - الجزء 2 - 1977 ص 132 .

4 - ابن أبي الضياف - المصدر نفسه - ص 141 <http://ArchiveSaidBenAissa.com>

5 - الدكتور أحمد الطويلي - في الحضارة العربية التونسية - / مقال : وثيقة عن حسين باي بن علي بالقيروان - دار المعارف للطباعة والنشر - سوسة 1988 - ص 152 .

6 - Hassine Dahmani et autres - le Droit Administratif Tunisien - E

- : 256 et 255 pp 1975 N - A Tunis

7 - أ - الطويلي - المصدر نفسه - ص 155 .

8 - شيخ الإسلام ابن تيمية - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان - دار الفكر اللبناني - بيروت - 1992 - صص 34 - 40 .

9 - ابن تيمية - المصدر نفسه - ص 34 .

10 - ابن تيمية - المصدر نفسه - ص 38 .

11 - ابن تيمية - المصدر نفسه - ص 37 .

12 - محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي المالكي - قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية - دار العلم للملايين - بيروت - 1979 . ص 367 .

13 - etude Said Ben Aissa - Introduction aux finances publique

comparative des systemes financiers ; Islamique ; liberal;socialiste - 1 Imprime-
rie E-P-A:Alger (S-D) p 35

- 14 - ابن تيمية - المصدر السابق ص 114 .
- 15 - أحمد فتحي بهنسي - الجرائم في الفقه الإسلامي - دراسة فقهية مقارنة - مكتبة الوحي العربي - الفجالة - (ج . م . ع -) 1968 ص 245 .
- 16 - ل - بهنسي - المصدر السابق ص 246 .
- 17 - 1 - بهنسي - المصدر السابق - ص 247 .
- 18 - ابن تيمية - المصدر السابق - ص 84
- 19 - ابن تيمية - المصدر السابق - ص 85 .
- 20 - هشام جعيط - الكوفة ، نشأة المدينة العربية الإسلامية - دار الطليعة بيروت - ط 2 - 1993 - ص 82 .
- 21 - ي - 1 - بلّياييف :العرب والإسلام والخلافة العربية - ترجمة الدكتور أنيس فريحة مراجعة الدكتور محمود زايد - الدار المتحدة للنشر - بيروت - لبنان - 1972 - ص 182 .
- 22 - ابن عرفة : (1316 - 1401)
- 23 (البرزالي : فقيه ، تلميذ ابن عرفة .
- 24 - عظيم : (توفي سنة 1605)
- 25 - البرنامج : هو برنامج الشوارد وهو تطبيق على تأليف تاج الدين بهرام .
- 26 - عبد اللطيف الطوير : (1711 - 1785)
- 27 - ابن حمدين : لم يشر أحمد الطويلي على ترجمته ولا أمكننا ذلك .
- 28 - البطريني : (637 هـ / 710 هـ)
- 29 - 1 - الطويلي - المصدر السابق ص 159 .
- 30 - 1 - الطويلي - المصدر السابق - ص 160 .
- 31 - Jean Fontaine ; Histoire de la litterature Tunisienne par les tex-
tes - Tome2 - du 18 ème siècle à l'independance éditions SAHAR -
Tunis 1994 - p 82 :
- 32 - 1 - الطويلي - المصدر السابق - ص 157 .
- 33 - 1 - الطويلي - المصدر السابق - صص 159 و 160 .
- 34 - أحمد ابن أبي الضياف - الإتحاف - المصدر السابق صص 117 .
- 35 - ابن أبي الضياف - المصدر السابق - ص 118 .
- 36 - ابن تيمية - المصدر السابق - ص 113 .
- 37 - ابن أبي الضياف - المصدر السابق - ص 143 .
- 38 - محمد بن الخوجه - صفحات من تاريخ تونس - تقديم حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج

- يحيى - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 1986 ص 188 .
- 39 - محمد بن الخوجه - المصدر السابق - ص 189 .
- 40 - ابن تيمية - المصدر السابق ص 112 .
- 41 - الدكتور محمد حرب - العثمانيون في التاريخ والحضارة - دار القلم - دمشق - 1989 - ص 48 .
- Said Ben Aissa - idem - p 18 : 42
- 43 - سعيد بن عيسى - المصدر السابق - صص 51 - 52 - 53 .
- Robert BENSCHVIC - Justice religieuse et justice laique dans la Tunisie des Deys et des Beys jusqu'au milieu du 19 ème siècle - studia Islamica n 23 - Paris 1965 :
- Raoul Darmon - la goulette et les goulettois - STD - Tunis - 45 p 25 : 1969
- Hassine Dahmani et autres le droit administratif Tunisien idem - 46 p 259
- 47 - نصّ عهد الأمان - المجلة القانونية - مركز الدراسات والأبحاث الإقتصادية والاجتماعية - تونس عدد 1 - 1974 - ص 314
- Hassine Dahmani idem p 256 - 48
- 49 - قانون الدولة التونسية - المجلة القانونية - المصدر السابق صفحة 338 (الفصل 89)
- Jeanne Iadjili Mouchette Histoire juridique de la mediteranee - 50 droit Ronain droit musulman centre d'études de recherches et de publication universite de droit d'economie et de gestion Tunis p 596 1990
- Louis Frank histoire de tunis édition bouslama 2 edition 1979 - - 51 p 91
- 52 - الدكتور رشاد الإمام ، سياسة حمودة باشا (1782 - 1814) منشورات الجامعة التونسية - 1980 صص 327 و 328
- 53 - زين الدين بن ابراهيم المعروف بابن نجيم الحنفي - الأشباه والنظائر - بحاشية محمد أمين عمر المعروف بابن عابدين نزمة النواظر على الاشباه والنظائر - تحقيق محمد مطيع الحافظ - دار الفكر - دمشق - 1983 ص 458
- 54 - ابن نجم الحنفي - المصدر السابق ص 459
- 55 - محمد الحاج الناصر - الإسلام وانتزاع الملك للمصلحة العامة - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية - 1991 (تأليف في 638 صفحة) .

كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني

== دراسة تحليلية ==

بقلم : عباس هاني الجيراخ

== العراق ==

للمعجمات العربية أهمية كبيرة ، كونها من أقدم الدراسات اللغوية ، لارتباطها ومصاحبتها للدراسات القرآنية ، إذ أن اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم ، ومحاولة تفسيره ، دفعهم إلى الاهتمام بلغته الفصيحة الكريمة .

ولما ظهرت المدونات المعجمية الكثيرة ، كان أصحابها قد أخذوا مادتها من أفواه الرواة والأعراب ، حتى استقامت لهم تلك المعجمات وشهرت . وقد وضع اللغويون والمعجميون نظامين لترتيب الحروف (1) ، لضمان وضع المفردة اللغوية في مكانها المناسب في المعجم ، النظام الأول هو : الترتيب الأبجدي (أ - ب - ج - د ض - ظ - غ) والثاني : الترتيب الألفبائي (الهجائي) وهو النظام الذي وضعه (نصر بن عاصم الليثي سنة 89 هـ) « ويبدأ بـ (أ - ب - ت - ث - ج -) ، وينتهي بالياء وهذان هما النظامان الرئيسيان لجمع أصوات العربية .

وهناك نظام آخر لا يمكننا أن نعدّه نظاماً قائماً برأسه كالنظامين السابقين ، لصعوبته وعدم مرونته ، وهو الذي وضعه الخليل الفراهيدي سنة 175 هـ (في معجمه الرائد (العين) (2) ، إذ نشر حروفه فيه على حروف الحلق ، وهي (ع ، ح ، خ ، ...) حتى الهمزة ، ضمن النظام الصوتي . ولما كان هذا النظام - كما أسلفنا فيه بعض الصعوبة والعسر ، فقد عمد المعجميون إلى السير على نظام الترتيب الألفبائي للحروف العربية ، ولعل أول من قام بذلك هو : « أبو عمرو الشيباني » ، مؤلف معجم « الجيم »

أبو عمرو الشيباني :

هو إسحاق بن مزار الكوفي المعروف بالأحمر ، يكنى بـ « أبي عمرو » - نسبة إلى ولده - ، ولُقّب بـ « الشيباني » لأنه جاور بني شيبان أو علّم أولاداً عنه ،

فُنُسِبَ إليهم (3) أو لأنه كان يؤدَّب ولد « هارون الرشيد » الذين كانوا في حجر « يزيد بن مزيد الشيباني » على ما يذكر ياقوت الحموي (4) .

وقد ولد أبو عمرو الشيباني عام 94 هـ - 712 م ، وشبَّ على حبِّ لغة القرآن بحثاً وتأليفاً ، وذهب إلى البادية ، وجمع شعر العرب وأنفق فيه سنوات طوال وشهد مترجمون بسعة ثقافته ، وطول باعه في اللغة والأدب والغريب ، حتى قال فيه الخطيب البغدادي (ت 463 هـ) : « كان أبو عمرو نبيلاً فاضلاً عالماً بكلام العرب ، حافظاً للغاتها » (5) وقال أيضاً : « كان راوية أهل بغداد ، واسع العلم باللغة والشعر » (6) وفضَّله ثعلب (ت 291 هـ) على أبي عبيدة مَعْمَر بن المنثى (ت 213 هـ) ، فقال فيه : « كان معه من العلم أضعاف ما مع أبي عبيدة » (7) . أما الانتباري فوصفه بالصدق ، وقال فيه أبو الطَّيِّب اللغوي (ت 351 هـ) : « كان أعلمهم باللغة ، وأحفظهم ، وأكثرهم أخذاً عن ثقات الأعراب » (8) « وهذا القول الأخير قول عدل يصدر عن بصريٍّ شديد التعصُّب على الكوفيين ، إلّا أن الحق لم يمنعه أن يقول في الرجل خيراً وصدقاً ... وتلك أخلاق العلماء ، وبذلك تتبيَّن شخصية أبي عمرو الشيباني .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

آثاره :

ترك الشيباني عدداً من مؤلفاته وآثاره المهمة (9) ، منها ما فُقد وأُتت عليه عوادي الزمن ، ومنها ما بقي حبيس الرفوف والخزائن مخطوطاً ، ومنها - وهو القليل - ما قد طُبِع ، وأهم هذه المؤلفات هي : الإبل - الجيم - الحيّات - خلق الإنسان - الخيل - غريب الحديث - الغريب المصنَّف - النحل والعسل - النخلة - النواذر (الكبير) في ثلاث نسخ - شرح كتاب الفصيح - إضافة إلى أشعار القبائل ، وهي نيفٌ وثمانون كتاباً ، جمع فيها دواوين الشعراء ، ووصل بها إلى ابن هرمة (ت 150 هـ) . وهذا يعني أن مؤلفاته ناهزت المائة كتاب ...

وفاته :

توفي الشيباني عام (213 هـ - 828 م) على أرجح الروايات .

تسمية الجيم :

اختلف الدارسون في سبب تسمية الشيباني معجمه بـ (الجيم) (10) فإذا كان

الفراهيدي قد سَمَّى كتابه الشهير بـ (العين) بهذا الاسم ، لأنه بدأه بالعين ، على ما هو معروف ، فلماذا سَمَّى الشيباني معجمه بهذا الاسم على الرغم من أنه لم يبدأه بالجيم ... بل بالهمزة ؟

لقد تشعبت الأقوال في سبب التسمية ، إلا أن القول الفصل في هذه المسألة المهمة هو ما رآه د. رشيد عبد الرحمان العبيدي (11) ، إذ رأى - ونحن نتفق معه في ذلك - أن الشيباني قد ألَّف كتابه هذا أول الأمر : وسمَّاه (الحروف) أول (اللغات) و (النواذر) ، وحين رآه جيِّداً ، وجامعاً لما أراد من لغات العرب ، ونادر ألفاظها وكلامها ، شَبَّهَهُ بالديباج لحُسْنِهِ في نظره وجمال نَسْجِهِ إذ أنَّ « الجيم » في اللغة تعني : « الديباج » وقال الفيروز أبادي (ت 817 هـ) : الجيم - بالكسر - الإبل المغلّمة والديباج ، سمعته من بعض العلماء نقلا عن أبي عمرو الشيباني « (12) وقد شرح عبارة الفيروز أبادي هذه ، اللغوي مرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ) ، في معجمه « تاج العروس » (13) ... وزاد عليها . أما د . محمد حسين آل ياسين فرأى أن الكتاب الذي وصلنا هو (الحروف) وليس (الجيم) بادلة عرض لها (14) .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

منهجه :

يمكننا أن نعرض لمنهج كتاب (الجيم) محاولين الوصول إلى الخطة التي وضعها الشيباني ، باعتماده على الترتيب الألفبائي للعربية ، وذلك خلال النقاط والفقر الآتية :

1 - بدأ المصنّف كتابه بمقدمة إلا أنها فُقدت بمرور الزمن ، وقد شهد بها القفطي (ت 646 هـ) ، إذ قال : « كتاب الجيم لأبي عمرو إسحاق بن مَرَار ، وهو كتاب مشهور تشهد عليه مقدمة الكتاب » ، وقوله أيضا : « ... ولم يذكر في مقدمة الكتاب لم سمَّاه الجيم » (15) ، ويبدو أن مقدمة الكتاب - المفقودة عرض فيها للغات العرب ، ومنهج الذي رسمه في هذا المعجم .

2 - نثر الشيباني الحروف الألفبائية على عشرة أجزاء - حسب تقسيمه - وجعل لكل جزء جملة مختلفة العدد عن الجزء الذي قبله أو الذي يليه ، وسمَّى كل حرف باباً ، ففي الجزء الأول نجد الأبواب : أ - ب - ت - ث - ج ، وأخرى الجزء الثاني للحاء ،

والثالث حوى الحروف : خ - د - ذ - وخصّ الرابع للرء وحدها ، أمّا الجزء الخامس فتضمن الحروف : ز - س - ش ، والسادس : ص ، ض ، ظ ، وأول العين ، والسابع لبقية العين والغين ، والثامن : ف ، ق ، والتاسع لحرفي الكاف واللام ، والعاشر لبقية الحروف وهي : م ، ن ، و ، هـ ، ي (بتقديم الواو على الهاء) ...

3 - التزم المصنّف بالحرف الأوّل من كل مادة لغوية ، أي أنه جعل الهمزة بمكان الفاء من الفعل ، غير ناظر إلى عينه أو لامه ، من ذلك : « قال أبو عمرو الشيباني : الأوق : الثقل (16) » ، أي أنّه لم يلتزم بإيراد الجنور اللغوية للمادة .

4 - ينقل الشيباني المفردة المعجمية كما سُمعت عن الأعراب ، لذلك لم يُراع في ترتيب المواد ما عليه تلك المادة اللغوية ، ولكنه يهتم بفاء الكلمة وأصلها ، أي أنه نظر إلى أصل المادة اللغوية كما هي عند العرب ، ولذلك فإن كلمة « الماقول » - على سبيل المثال - نجدها في حرف الألف ، و « المينة » في الباء و « متيح » في التاء (17) ... الخ .

5 - استشهد أبو عمرو الشيباني بكثير من القصائد والمقطعات الشعرية ، إلا أنّه نادر الاستشهاد بالقرآن والحديث ، ونرى أن مردّ ذلك يعود إلى اهتمامه بالغريب الحوشي والنادر من لغات العرب من التي يندر أن نجد منها شيئا في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف ، وهو نادر أيضا - الاستشهاد بالأمثال وأقوال الفصحاء ، كما في « جاهدي » و « جحفت » (18) .

6 - ينسب الشيباني بعض الأقوال إلى الأعراب ، أو إلى المنسويين إلى القبائل العربية - دون تسمية لهجاتها - من ذلك قوله : « قال الشيباني والنحوي والتغليبي : الأنوق : طائر مثل الدجاجة العظيمة سوداء ، صلعاء الرأس ، منقارها أصفر » (19) ، ونرى كثيرا من مثل : « قال أبو الغمر » ، و « قال التميمي » ، و « قال الخثعمي » الخ .

7 - فسر الشيباني صيغ الثلاثي ومشتقاته ، إضافة إلى صيغ الرباعي والخماسي ومشتقاتهما .

أهمية الكتاب :

لم تكن شهرة (الجيم) لتقلّ عن (العين) .. وقد جمعهما ابن فارس (ت 395 هـ) في قوله :

والمجمل المجتبى تُقْنِي فوائده * حفاظه عن كتاب « الجيم » و « العين »
وتكمن أهميته في الفقر والنقاط الآتية :

أولاً : اعتمد أبو عمرو الشيباني في (الجيم) نظام (الترتيب الألفبائي) بحروف العربية ، فكان أول معجم عربي يعتمد هذا النظام ، الذي سارت عليه كثير من المعجمات فيما بعد .

ثانياً : يعد (الجيم) مصدراً مهماً من مصادر دراسة لهجات القبائل العربية والألفاظ اللغوية العربية ، والاستعمالات النادرة ، وهو حصيلة جهود كبيرة بذلها المؤلف في جمع أشعار العرب إذ « كان الغالب عليه النوادر وحفظ الغريب وأراجيز العرب » (20) ، فقد احتوى المعجم على عدد كبير من اللهجات التي نونها مصنفة فيه ، ورأى د . حسين نصار أن كتاب الجيم « يفوق في هذا الجانب جميع المعاجم التي بين أيدينا ، إذ أن إشاراتها إلى لغات القبائل قليلة ومتناثرة » (21) وإذا قارناً بينه وبين (العين) نجد أن الكتابين قد رويَا اللغة عن تميم وهذيل واليمن وطيء وعقيل والأزد وأهل الحجاز ، وانفرد (الجيم) بذكر نحو خمسين قبيلة عربية « (22)

ثالثاً : في الكتاب ذكر لبعض المواضع والأمكنة ، قد تفيد المعنيين بهذه الموضوعات والجغرافيين ، وبعض الإشارات الاجتماعية التي تحكي واقع العربي في باديته ، كقوله : « الشرم ، المكان من البحر ، لا يدرك غمره ، ومنه مكان يقال له : شرم جابر » (23) .

أنسره :

نقل عن معجم (الجيم) كثير من أصحاب المعجمات واللغويين ، سواء في الألفاظ أو الغريب أو الشواهد وبعضهم اتبع منهجه القائم على (الترتيب الألفبائي) . إذ تابعه في منهجه : البندنجي (ت 284 هـ) في (التقفية في اللغة) وأبر بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت 321 هـ) في (جهرة اللغة) وأحمد بن

فارس (ت 395 هـ) في (مقاييس اللغة ، والجوهري (ت 398 هـ) في :
(الصّاح) (الزمخشري (ت 538 هـ) في (أساس البلاغة) ، وفي هذا المعجم
اتفق الزمخشري مع الشيباني حتى في تقديم الواو على الهاء ، وأورد الألفاظ في
كل باب باعتبار حرفها الأول ، إلا أنه أكمل النقص بالنظر إلى الحرف الثاني
والثالث من كلّ لفظ .

أما الذين نقلوا عنه فمنهم : ابن السكيت (ت 224 هـ) في : الألفاظ (24) ،
والقالي (ت 356 هـ) في : (البارع) - بطريقة غير مباشرة (25) - وأبو بكر
الأنباري (ت 328 هـ) في (الزاهر) (26) ، والأزهري (ت 370 هـ) ، في :
(تهذيب اللغة) (27) والبطلاني (ت 521 هـ) في : (المثلث) ، إذ نقل عنه
ست مرات (28) (والصاغاني) (ت 650 هـ) ، في (العباب الزاخر) (29)
والسيوطي (ت 911 هـ) في (المزهّر) (30) وألف أبو عمرو شمر بن حمدويه
الهروري (ت 255 هـ) معجماً سماه (الجيم) ، تأثراً بمعجم الشيباني ، إلا أنه
خالفه بتقديم حرف الجيم (31) ولم يصل إلينا .
نشرته :

نشر المستشرق الألماني (فيرنر دييم werner diem) (ت 1944 م) حرف
الكاف من معجم الجيم ، في جملة « الأبحاث » التي تصدرها الجامعة الأمريكية
ببيروت 1968 م ، وحققه المستشرق (فريتس كرنكو f.krenkow) - سالم
الكرنكوي . ثم قام الأساتذة : إبراهيم الأبياري وعبد الحليم الطحاري وعبد الكريم
الغريايي ، بتحقيق معجم (الجيم) في ثلاثة أجزاء 1394 هـ - 1974 م - 1397 هـ
- 1977 م ، وتولى الأستاذ الأبياري تحقيق الأول وحده ، وصدره بمقدمة جيدة ،
وراجع الكتاب : الأستاذان محمد خلف الله أحمد وعبد الحليم حسن والدكتور
محمد مهدي علّام . ثم صدر جزء رابع للفهارس .

وقامت السيدة فائدة محمد مفيد آل ياسين بصنع فهرس خاص لأعلام المعجم
نشرته في مجلة (المورد) البغدادية ، م. ا - 24 - 1401 هـ - 1981 م .
وبعد : فهذا بعض ما أردنا أن نبّحث فيه ، وفي القول مُتّسع والحد لله رب
العالمين .

* الهوامش :

- 1 - انظر في ذلك : عدنان الخطيب : المعجم العربي بين الماضي والحاضر 22 - 25 . (القاهرة 1967 م) . د . أميل يعقوب : المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها 35 - 41 (بيروت 1981 م)
- 2 - صدر (العين) ببغداد في ثمانية أجزاء بتحقيق د . ابراهيم السامرائي و د . مهدي المخزومي ، وقامت إحدى نور النشر ببيروت بإعادة طبعه ثانية ، ولكن على النظام الألفبائي لا نظام الخليل .
- 3 - انظر : ابن النديم : الفهرست 75 (ط طهران 1971 م) ابن خلكان : وفيات الأعيان 200/1 (تر محمد محي الدين عبد الحميد بيروت 1367 هـ) القفطي : إنباء الرواة 221/1 (تر محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة 1950 م) ، بولكمان : تاريخ الأدب العربي 202/2 - 203 (ترجمة عبد الحليم النجار ، ط 3 ، القاهرة 1974 م) ، طه حسين : في الأدب الجاهلي 190 (القاهرة 1958 م) جرجي زيدان : تاريخ أدب اللغة العربية 2/ 122 .
- 4 - ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب : (تر مرجليوث - القاهرة 1924 م) 233/2
- 5 - تاريخ بغداد 329/6 القاهرة 1931
- 6 - السيوطي : بغية الوعاة 192 .
- 7 - الذهبي : ميزان الاعتدال 557/4 .
- 8 - مراتب النحويين 91 (تر محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة 1955)
- 9 - إضافة إلى المصادر التي ذكرناها ، انظر حاجي خليفة : كشف الظنون 90 ، 104 ، 722 ، 1383 - 1410 ، 1466 ، 1415 ، 150 ، اسماعيل باشا : هدية العارفين 197/1 (استانبول) .
- 10 - لعل الشيباني قد تأثر بكتاب سبقه للنَّصْر بن شمِيل (ت 203 هـ) ، في كتاب له باسم (الجيم) ، إلا أنَّ ذلك الكتاب لم يصل إلينا - انظر الفهرست 58 .
- 11 - مشكلات في التأليف اللغوي 115 (بغداد 1401 هـ 1981 م)
- 12 - القاموس المحيط 94/4 (القاهرة ، مؤسسة الطباعة)
- 13 - تاج العروس 236/8 (القاهرة 1305 هـ) وقد نقل عن الفيروز آبادي في كتابه « بصائر نوي التمييز » الرأي نفسه . وانظر : د . رمضان عبد التواب : فصول في فقه اللغة 239 (القاهرة - ط 1 - 1973) ، د حسين نصَّار : المعجم العربي 78/1 - 79 (القاهرة - ط 1 - 1972 م) وانظر مقدمة الصحاح للجوهري 76.71 .
- 14 - الدراسات اللغوية عند العرب 267 - 8 (بيروت 1980 م)
- 15 - إنباء الرواة 224/1
- 16 - الجيم (تر ابراهيم الأبياري ، 1974) 53/1 .
- 17 - م . ن 85/1 ، 86 ، 278 ، وانظر : مشكلات في التأليف اللغوي 121 .

- 18 - م . ن 122/1 ، 126
- 19 - م . ن 71/1 وانظر 1/66 ، 88 ، 304 ، 52/2 ، 147 ، 10/3 ، 30
- 20 - الدراسات اللغوية عند العرب 77 وانظر أنباء الرواة 1/288
- 21 - المعجم العربي 1/81
- 22 - د . هاشم الطعان : الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة 113 (بغداد 1978 م)
- 23 - الجيم 157 .
- 24 - كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ 90 ، 329 (تر لويس شيخو ، بيروت 1895 م)
- 25 - البارع في اللغة 100 ، 101 ... (تر د . هاشم الطعان ، بيروت) ، وقد نقل النصوص عن ابن السكيت .
- 26 - الزاهر في معاني كلمات الناس 1/108 ، 120 ، 169 (تر د . حاتم الضامن ، بغداد 1979 م)
- 27 - تهذيب اللغة 82/11 ... (القاهرة 1964 م)
- 28 - انظر المثلث (تر د . صلاح مهدي القرطوسي ، بغداد 1981 م)
- 29 - العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الفين) 30 ، 24 ، 36 ، 46 ، 49 ، 52 ، 66 ، 58 ، 60 ، 62 ، 64 ، 66 ، 73 ، 75 ، 77 ، 81 ، 83 ، 85 ، 90 ، وأشار إليه في مقدمة كتابه (حرف الهمزة) 1/31 ، وذكره في 1/38 باسم كتاب (الحروف) وانظر 1/39 ، 40 ، 45 ، 67 ، 72 ، 84 ، 85 ، 102 ، 107 ، 141 .
- 30 - المزهو 1/275 (تر محمد جاد المولى ، القاهرة ، د . ت) <http://Archiweta.Scribd.com>
- 31 - انظر : تهذيب اللغة 1/30 ، إنباء الرواة 2/77 .



صدى التراث الشعري في ديوان « بوح البوادي »

بقلم : خليفة الخياري

أصدر رجل الأعمال الكويتي عبد العزيز سعود البابطين صاحب جائزة الإبداع الشعري ، ديواناً شعرياً بعنوان : « بوح البوادي » عن مطبعة المركز الثقافي العربي (بيروت 1995) . ويذكر في تصدير الكتاب أنه استمدَّ هذا العنوان من خلال رحلات الصيد في الصحاري والبوادي العربية والأجنبية (1) . وقد أثر الشاعر في وقت تدخل فيه القصيدة العربية تجربة ما بعد الحداثة ، أن يستردَّ سنن الشعر وأغراضه المتداولة في حقبة تسبق الحداثة بقرون . فإذا سلّمنا بما صرّح به الشاعر في تقديمه ، جاز لنا مبدئياً أن نعتبر هذه القصائد من صنف الطُرديات ما دامت مستلهمة من رحلات الصيد . إلا أن المتمعن في سياقات القول الشعري لا يجد أثراً لا لعتاد الصيد ولا للإلحاقات حمز الوحش والغزلان ... وإنما يلاحظ هيمنة مجموعة من المواضيع ذات الطابع الوجداني لا صلة لها بمصدر الإحياء الذي ذكره الشاعر . بل بالتقاليد الشعرية القديمة في شكل صياغتها ومحاكاة أغراضها واستحضار بعض نماذجها الراسخة سواء من خلال التلميح إلى فترة معينة ، أو الإشارة إلى تجربة شاعر بعينه أو استحضار ألفاظ شعرية ترتدُّ بالذاكرة إلى مرحلة ما من مراحل تطوّر الشعر العربي القديم .

1 - التعلّق بعمود الشعر ولوازمه :

لا توجد في كامل المجموعة الشعرية قصيدة واحدة تخرج عن سنن الشعر العربي القديم . والشاعر في تمسّكه بعمود الشعر كان ملزماً باعتماد مختلف المبادئ التي أقرّها النقاد القدامى . وأولها البحور الشعرية : وقد استغل من مجموعها سبعة بحور أكثرها استعمالاً الوافر (16 قصيدة) يليه الرمل (15 قصيدة) . فإذا راعينا عدد القصائد المضمّنة في الديوان (51 قصيدة) يكون هذان البحران قد هيمنّا على نصف العدد الجملي . أمّا بقية البحور فنسبة

اعتمادها محدود جداً ، حيث تكرر استعمال البسيط : (ثماني مرآت) ، يليه الطويل : (خمس مرآت) وفي المرتبة الخامسة يستعمل الكامل والخفيف في ثلاث قصائد لكل واحد منهما . أما المتدارك فلم يعتمد سوى في نص شعري واحد . والملاحظ أن الشاعر يميل أكثر إلى البحور التي تتساوى فيها نسبياً المقاطع الطويلة والقصيرة ، أو التي تطفئ فيها المقاطع الطويلة : (الرمل) . ونادراً ما يشطر البحر أو يستعمله مجزئاً ، أما المنهوك فلا يستعمله إطلاقاً .

ولم يتجاوز الشاعر أيضاً ظاهرة التصريع في ثلث مجموع القصائد . في حين أنه حاول تنويع القوافي فكانت على ثلاثة أصناف : الصنف الأول من القصائد يحافظ على القافية الموحدة في كامل الأبيات المتتالية . والصنف الثاني وهو قليل الشيوع يستلهم بنية الموشح الشرقي حيث تتحول القافية بعد كل بيتين تفصل بينهما لفظة متكررة ولازمة .

أذكريني كلما حنَّ الفؤاد
وبدت بالأسق ذكرائي تطوف
وإذا ما اتعب القلب البعادُ
وتوارى قمري عند الخسوف
أذكريني عندما تبدو الغيوم
فسي سمائي وبها الطائر غرد
ليناجي خُله فوق النجوم
مستثارا هائما للحب أنشد

أذكريني (2)

ويظهر الصنف الثالث في قصيدة واحدة . وهو أيضا يحاكي بنية الموشح الأكثر شهرة . وتنقسم القصيدة إلى مقطوعات تتألف كل واحدة من أربعة أبيات تتحد ثلاث منها في قافية . وينفرد الرابع بقافية مخالفة تتكرر في نهاية كل مقطوعة :

أحسّأما سمعت بما أتاني
وحقاً تلك ، أم لعب الزمان
يموت رفيق عمري ، عزّواني
فلا عيشي يطيب ولا وجودي (3)

وكيفما كانت أشكال التنويع فإنها تظل في منأى عن رؤية التجديد وملح التعصير . ومنتهى ما تؤديه من دور لا يتخطى دور القالب الفني المرتب للتعابير أو

بالأحرى الإطار الخارجي المنضد لنهايات الأعجاز .

2 . مجالات القول ومدارات التعبير :

إن أكثر ما يثير الانتباه في مضامين هذا الديوان يتمثل في انحصار الأغراض الشعرية في مجالات عتيقة لا صلة لها البتة بزماننا ، وانفصال مقالاتها شبه الكلي عن مقامات الشعر المعاصر . ولئن كان لا يخلو عصر من ذكريات ماضية وأشجان مثيرة للأحاسيس الإنسانية ، ومظاهر خلابة دافعة النفس للتغني بروعة الخلق ، وحوادث فاجعة مرعبة تُشكى ويذمّ الزمان ويسبّ الدهر من جرّاء ما تتركه من آثار قاسمة ولوعة ... فإنّ التعبير عن تلك الأحاسيس وتلك المظاهر وتلك الحوادث لابدّ أن يتغيّر بتغير معطيات الوجود ، وأن يتجدّد بتبدّل الأزمنة والأمكنة .

إلاّ أن مدارات التعبير عن تلك الأغراض في « بوح البوادي » لم تختلف عمّا كانت عليه في الشعر العربي حتّى القرن السادس الهجري . والعنصر الجامع لها أنها تلتقي حول ما يحسّه الشاعر في ذاته ويموجيات نابغة ممّا يتعلّق به وحده نون اعتبار للمحيط الذي يعيش فيه وبون ذكر للشواغل والقضايا الإنسانية السائدة في عصره وتتوزع هذه الأغراض الحميمة على أربعة مجالات :

أ . استحضار الماضي من الأيام والحوادث :

وهو المجال الأرحب الذي خصّه الشاعر بأكبر عدد من القصائد . ولما كانت أغلب القصائد مستلهمة من رحلات القنص ، فإنها ستكون بالطّبع وبثأثير الطبيعة مشحونة بالأحاسيس والانفعالات التي هي وجع صدى لرحابة الفضاء وعذرية الطبيعة ونقاوتها . وهو ما يدفع النفس إلى استرجاع الماضي وتذكّر الحوادث الجميلة التي تظلّ عالقة بالوجدان . والشاعر لم يترك حادثة ماضية إلا واستحضرها : (اللقاء / المواعيد / مواطن الافتراق / جلسات الودّ / الرفاق / الحبّ / ملاح المعشوق / العتاب / التناجي ... الخ) :

سل وادي الحبّ وأسأل وردة فية عن اللقاء الذي لو عاد يرويه
تخضر أرض ويزهو في جوانبه شيع وينمو الخزامى في روابيه
لقيا تحدث عنها النجم ردّها للقادمات من الأيام في تيه
ذكرتها من صميم القلب أذكرها والحبّ تأبى يد الأزمان تسفيه (4)

بـ . البَيْنُ وفراق الأحبة :

وهو مجال لا يقل أهمية عن المجال السابق ، بل إنه امتداد طبيعي له ووجه من أوجه التعبير عنه . ذلك أن الحديث عن مفارقة الأصحاب ونأي الأحباب لا يرد إلا في صيغة الماضي . فالحديث عنه من باب استحضار ما مضى وتذكر ما انقضى :
نكأت الجرح يا زمني بوصل كومض البرق أسرع في فلاة
طواها المحل أعواما عافا فجاء الومض بشري للحياة
أيوم الوصل تعدل في حياتي سنين البين تلك القاتلات (5)
جـ . الرثاء وشكوى الزمان :

وهما غرضان يلتقيان في الشعر دائما لترتب أحدهما عن الآخر . والشاعر عادة ما يجد نفسه في صدام مع الزمان حينما يأخذ منه حبيبا أو يفجعه في شيء قريب من نفسه . وفي هذا الديوان ارتبطت الشكوى بمجالين : مجال الهجر ومجال الفقد ، فالشاعر يشكو زمنا خلوا ممن أحب ويعتبره أسوأ زمن :

يهزني الشوق والأهات تنفجر وتحتويني هموم يوم ذكراك
وتعصر القلب أيام مبرحة يزيد بها اليأس إيلا ما كاشواك
وينزوي الصبر مشبها بإزاية من الفؤاد دمه أنه الشاكي
[.....]

هي الحياة شديدات مضايقها وذروة الهم لا أحظى بلقياك (6)
وفي مجال الهجر يتنزل شكوى الزمان منزلة ثانوية مقارنة بالدوافع التي أدت بالشاعر للثورة على راهن حاله . أمّا في مجال الفقد ، أي الرثاء فالشكوى تلتبس بدافعها بحيث يحدث ما يشبه التعادل بين التعبير عن المفقود ووصف سطوة الأيام على أحاسيس الشاعر :

أياقير الرقيق أخا الغواذي
ترفق بالشهيد ، فللعواذي
مرامات بنا ، فهي الأعادي
سلام الله يا روح الفقيد (7)

دـ . التفني بجمال الكون :

كان من المفروض أن ينال هذا المجال حظاً أوفر باعتبار الموحيات التي ذكرها الشاعر في التصدير . إلا أن الأمر كان عكس ما يفترض لسببين اثنين : أولهما أن الطبيعة الخلابة في شعر سعود الباطين دائماً تكون مثار ذكرى بحيث يخالط نقاوتها بين الحبيبة ، فتوحي بعكس ما يتوقع :

ومفتون بذكر الحب يغري بنا الشوق القديم وليس يحمد
يهيج في الحشا مني القوافي فتسري في انطلاق لا يقيّد
فتسكبها طيور الرّوض لحنا يغنيه الربيع هوى مردّد
[....]

وتهتز الروابي مائسبات وقد رقص الجمال بها وأنشد
وتشجينا النسائم حين هبت تدغدغ ما ضيا ولى وابتعد (8)
وثاني السببين أن الشاعر لا يخص المنظر الخلاب بمجال شعري مفرد وإنما يأتي الحديث عنه في سياق أعم ، ومنها السياقات السابقة الذي ينتهي مداره عند حدود ما يعكسه ذلك المشهد في ذاته الناقصة إلى الحبيب المفقود .

والأغراض الأربعة إذا جاز أن نعتبرها كذلك مفصولة عن بعضها البعض ، تقليدية نصيبها من الشعر العربي القديم وأقر جداً . ومجاري القول فيها تختلف في عصرنا تماماً عما كانت عليه يومئذ . لذلك لا يمكن فهمها إلا على أنها من قبيل الصنعة الشعرية في مستوى المضمون .

3 - الأسلوب الشعري :

ليس هدفنا من هذا العنصر البحث عن خصائص أسلوب هذا الشاعر ، لأن المدونة المدروسة غير مؤهلة لتكون مصدراً لذلك باعتبارها تجمع قصائد كتبت في مراحل متباينة من تجربته . وإنما نريد منه الإشارة إلى مظاهر التعلق بالبيئة العربية القديمة في مستوى العبارة الشعرية . وقد أمكن لنا رصد تلك الظاهرة في نوعية الألفاظ والتراكيب وترديد العبارات الشعرية القديمة الجاهزة .

فمن الألفاظ المترددة في « بوح البوادي » والمألوفة في أشعار القدامى ما يتعلق بالعشق كالوصال والنأي والطيف ، والعنول والصبابة ، والجوى ، والتوجد ، والتسويد ... فإذا كان من باب الاغراب في التأويل ننسب هذه الألفاظ إلى الشعراء

القدامى بون المحدثين ، فلأن العشق بهذه الكيفية يختلف تماما عن أشكال التواصل العاطفي بين الجنسين في عصرنا . وإذا سلّمنا بأن التعبير الشعري عن الإحساس العاطفي لدى الإنسان طيلة هذه الأحقاب المتتالية لم يتغيّر ولم يتلون ، نكون قد أكّدنا إحدى فرضيتين : إمّا أن الإنسان العربي لا يتطوّر بتطور الحضارات وتغيّر الأوضاع وإمّا أن الإنسان يتطوّر والشعر العربي غير مواكب لتطوّر أحاسيسه . وكلا الفرضيتين تتعارضان تماما مع السيرة التاريخية للوجود الإنساني واللغة باعتبارها ظاهرة حيّة ملازمة له .

ومن التراكيب التي تستحضر في ذهن القارئ قصيدة معيّنة أو تقليدا شعريا معروفا نكتفي بثلاثة نماذج :

أ - الوقوف على الأطلال :

وهي ظاهرة تعبيرية موهلة في القدم تعود إلى العصر الجاهلي ومعروفة في المعلقات . ومنها مطلع معلقة امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحول

ونجدها في هذه المجموعة تستجيب لمواصفات هذا النمط من المطالع القديمة مع فارق ضئيل يتمثل في تغييب الدوافع الطبيعية للتذكّر كالمنازل والعرضات ... إلخ :

قفا نذكر الأيام والوصل صافيا وودّاء عفاء الدهر أبعد نائيا (8)

ب - مخاطبة الخليلين :

وهما شخصيتان تلازمان الشاعر . ويكثر القدامى من مخاطبتهما بون تحديد هويتهما أو التعريف بهما . وفعل الأمر في بداية بيت امرئ القيس المذكور في صيغة الأمر موجّه إليهما . وفي « بوح البوادي » هناك عشرات التعابير الموحية أو المصرّحة بالخليلين ومنها :

– خليلي لن أنسى على الدهر ودّها (ص 26)

– يا نديمي غزّلي (ص 31)

– علّاني بوصال مرتجى ... (ص 31)

– يا خليلي ألافقا بنا ... (ص 61)

ج - ترديد التراكيب والصيغ التعبيرية الجاهزة :

ومن التراكيب ما كان يستعمل في القصيدة القديمة لغرض محدد كاستعمال فعل دعاً - يدعو في صيغة الأمر للتخلص من مجال قول ثانوي إلى مجال جوهري في نفس القصيدة . ومثلها في الديوان قول الشاعر : « دعي الملام فإنَّ اللّوم أرفقني » (ص 63) .

أما الصيغ التعبيرية الجاهزة المترددة فصنفان : صنف عام يرتبط في الذهن بصيغ شعرية قديمة مرددة في أكثر من قصيدة . مثل صيغة التّمني في العبارة التالية : « ألا ليت شعري هل تعودنّ ليلة » (ص 26) . والصنف الثاني خاص يستحضر في الذهن نصا شعريا محدداً أو أسلوب شاعر معين . ومن التعابير المستدعية لقصيدة محددة ، قول الشاعر مشبها في مطلع قصيدته : « الجمال الناعس » :

هاجني الوجد لأزمان خات كزمان الوصل بالاندلس (ص 31)
وقوله في مطلع قصيدته : « والهوى ثالثنا » :

جاده الفيث حبيبي إذ همى وسقى الفيث مراعي المقل
وفي بيتها الختامي :

يا زمانا قد تعلى وانقضى جاده الفيث يشهد العسل (ص 40)
هذه الأبيات المتفرقة والمتباعدة لا نعتقد أن مطلعاً على مدونة أشعار العرب يتأملها دون أن ترد في خاطره الرائعة الشهيرة للسان الدين بن الخطيب :

جاده الفيث إذا الفيث همى يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك إلا حلماً في الـ ... كرى أو خلسة المختلس

ذلك أن التجاوب بين الصيغتين التعبيريتين جلي واضح المعالم في الألفاظ المفردة : (جاد / همى / الفيث / زمان) وفي التراكيب : (مخاطبة الزمان / تعدية فعل جاد ...) وفي البحر الشعري : (الرمل في كلا القصيدتين) .

ويمكن اقتناص النموذج الأمثل لاستحضار أسلوب شاعر معين من قصيدة :
« وعود » حيث تعود بنا الذاكرة حالما نقرأ مطلعها :

لا تعذلوني فإن العذل يقتلني يا من قسوتم على روح قضت سأمها (ص 51)
إلى أسلوب محمد بن زريق البغدادي في قصيدة مشهورة يقول مؤرخو الأدب إنه

قالها عندما غادر بغداد في اتجاه الأندلس للارتزاق ومات هناك ... ومطلعها :
لا تعذليه فإن العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حداً أضرب به من حيث قدرت أن اللوم ينفعه
[....]

الله قسم بين الخلق رزقهم لم يخلق الله مخلوقاً يضيعه (9)
ومهما يكن من أمر هذه التراكيب المرددة وهذه التعابير الجاهزة ، فإننا لا يمكن أن
ندعي عدم مساهمتها في تقريب هذا الديوان عن واقع الشعر العربي ، وحاضر
اللغة العربية بصفة أعم . وذلك أخطر مأخذ أسلوبية يحد من جماليات هذه
النصوص الشعرية . لأنها إذا أضيفت إلى الأغراض التي انتقى الشاعر القصائد
الخاصة بها عن وعي ودراية . وإلى تمسكه بالسنتن الشعرية القديمة على مستوى
الشكل ... يمكن أن يستشرف منها القارئ ملامح الهوة التي تفصل بين الشاعر
ووجدانه . فهو يعيش الحاضر بقضاياها وشواغل الإنسان فيه بجسده . ويعيش
الماضي بأحاسيسه ومشاعره . ومن شأن هذا الانفصال أن يضع وظيفة الشاعر
في مجتمعه موضع أكثر من سؤال . وأن يشكك في التلازم الحتمي والحميمي بين
التجربة الوجدانية والتجربة الوجدانية

* الإحالات :

- 1 - عبد العزيز سعود البابطين : بوح البوادي - ط 1 - المركز الثقافي العربي (بيروت 1995) - ص 5 .
- 2 - أنكريني - ص 11
- 3 - أحزان - ص 53
- 4 - حنين - ص 15
- 5 - نكات الجرح - ص 23
- 6 - شكوى - ص 27
- 7 - أحزان - ص 54
- 8 - وفاء - ص 37
- 9 - انظر نص القصيدة كاملة في كتاب : أدبيات اللغة العربية - اعداد محمد عاطف ومحمد نصار - الجزء الأول - المطبعة الأميرية (مصر 1906) - ص 303 - 304 .

بوح النخيل

نصر : فوزية علوي

الريّح بوحها الأخضرُ
والنّخيل ، همس الهوى المُسكرُ
لك الأمانى
وللأمانى المَدَى
لك الأغاني
وللأغاني الصّدَى
لك البوادي
ولصوتك الشّادي ، يا حادي
في الرّوح مَغْبَرُ

* * *

الرّيح أن تبوحُ
وللرّمال السّمر أن تُفْقِي
إن شاعت أو تنوحُ

ما نفعه الغناء
في حفل الخواء والدموع
ليت الصّدَى يُفِيقُ
وليتهُ الرّبيع
يُعانقُ الهوَاء
فيمتشي السّحرُ
وعندها المطرُ
تُقبّلُ الثّرى
وعشقها تريق
فترزّهرُ الحنَاء

وينتفسي السُّفْرُ
للرَّيح ما أَرَادَتْ أَوْ تَرِيدُ
أَنْ تَمْنَحَ الْقَرْيَ
نَهْرًا مِنَ الرُّطْبِ
أَوْ تَمْنَحَ الْوَلِيدُ
مِنْ لَحْظَةٍ صَفَاءً

وباقةً مِنْ حَبِّ
وَالصُّدَى الْبَعِيدُ أَنْ يُعِيدَ مَا يُعِيدُ
أَوْ يَلْفِظَ الْغَنَاءُ
وَالطُّفْلَةُ اللَّمِيَاءُ
يَقْطَعُهَا الْمَخَاضُ فِي الْوَرِيدِ
وَيَرْفَعُ الْأَهْدَابَ لِلْسَّمَاءِ :

» يَا نَحْلُ يَا وَسْطَانُ

يَا قَبْلَةَ الْخَيْرَانِ
يَا غَارِقَا فِي وَاحَةِ الْأَحْزَانِ وَالصَّبْهِيلِ
يَا أَسْوِكَ الْأَهْدَابِ
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

كَفَرْتِيَةِ الْأَعْرَابِ فِي الْجَلِيلِ
مَا نَفَعَهُ الرَّحِيلُ

وَالْحَصَى فِي أَرْضِنَا هَدِيلُ
وَعِنْدَنَا مِنْ أَحْرَفِ الْوَفَاءِ بَاقَتَانِ
وَعِنْدَنَا الْأَصِيلُ

فِي نَيْضِنَا يَا نَحْلُ لَوْ دَرَيْتِ
تُوقِعُ الْفَصُولُ

فِيكْبُرِ الْأَطْفَالِ فِي الْمَدَى
وَيَتَوَرَّقُ الطَّرْفَاءُ فِي السُّهُولِ
فَلْتَبْقِ يَا خَلِيلُ »

يا واقفا وترحلا
وياكيا قوافل الربيع والشتاء
يا عاشقا امرأة لا تأتي
شفاها من وهج القبائل
وشعرها أصائل
ومسها عنادل المساء
وكفها زنايق ونار
وقلبها بحار
وعشقها يمامة سجيئة
تغازل الزنوج والتتار
وتطلب الفداء
وتحمل يا نخل لو دريت
في قلبها الأفق
من شعرك جديلة
ومن سنى النيران في عينيك
لعينها فتيلة
وتحتسي الشفق
فتزهر النجوم
وتورق قوافل الغمام
ويرتدي الحمام
من جبة السماء
بردا من الضياء
ويحمل السلام
لوجهك الجميل

فلتبقي يا نخل



وكر الثقافة

شعر الأستاذ : عبد الستار الهاني

على الإضافة ما من جيد هربا
بكل زخم من الأبحاث قد جلبا
وكان منها محب الدرس مكتئبا
ويعد حين تولى راقصا طريا
صار اللذيذ كئن اطعمتك السريا
فغان دارسها واستسهل الصعبا
فيها المكين وفيها سالك دريا
تزيد علمك شرحا ليس مضطريا
بما يقال وللأمال قد قربا
تطري امتيازاً على الإتحاف منسكبا
متى تجلّت تجلّي الهم والكربا
وضم مجمعه الأفذاذ والنخبا
من البحوث بما قد حقق السببا
أسفار درس تغيد العمر والنخبا
فهو التكرم يعني مخلصا وأبا
لكي نراكم تتألوا في العلأ رتباً
أن تسلموا ويكون الخير منقلباً
يشجع العلم والتثقيف والأدبا
فذا النشاط بدفع منهم وثباً

وكر الثقافة في « سليانة » دأبا
فذي المجلة وسط العام حافلة
وكم مواقع في التاريخ قد درست
حتى رأى سفرنا فانكب يحذقه
ومثل ذلك في الآداب مدركه
والفلسفات غموض القصد فارقه
وذي القصائد ألوان ملوونة
وللفلاحة وضع جد محترم
وكل قارئ سفر بيان مقببطا
وذي الصحافة هبت كي تقرضها
وجودة العرض أضفت سحر هيبتها
ومحفل الصيف قد دانت شوارده
يزيده كل عام خير مبتكر
والملقى قد توالى من نتائجه
أن نحتفل ببسيط الشعر من قبلي
إننا نشجعكم والفوز مطلبنا
وذي تحية بر كل غايته
ومرحبا بوزير الفكر في بلدي
والحاضرين وأهل الحفل اجمعهم



ياراحلا ...

الحبيب دربال

* دَمْعَةٌ وَفَاءٌ عَلَى وَالِدِي الْمَأْسُوفِ عَلَيْهِ الطَّيِّبُ الَّذِي وَدَّعْنَاهُ

صباح يوم 20 أوت 95

البيت بعدك واجم مهموم
والعين تأبى أن تجف دموعها
أما الحقول فليس تنسى كدّه
إنّي أرى الأشجار تبكي حظّها
من يحضن الأزهار بعد سباتها
ويظلّ بالمقراض يقطع ما نوى
يا راحلا جعل الوفاء شعاره
ما زلت أبكي غربتي وصديقتي
وأكاد أجزم أنه لم يرحل
ويؤمّني الأصحاب : إنك مخطئ
فأرحم فؤادك لا تزده مرارة
سبعون عاماً قد تلتها خمسة
سبعون عاماً قد أنستُ بدفنها
عهد مضى لكنّه متواصل
عهد مضى يختال في جبروته
عهد مضى نبغيه نوراً ساطعاً
يجتث من قلب الفقيرة فقرها
نصبو إلى عهدٍ تفتح وردّه
ماذا يقول الشعر عن أخلاقه
يأبى الخصام فلا يريد وقوعه

والناس خلفك صابرون وكلّهم
والقلب من فرط البلاء سقيم
سلمت يداؤه وثوب المرحوم
فحظوظها من بعده ترميم
ويلطف الليمون وهو فطيم
وعلى جبينه علّق المشموم
إنّي لفي لجج الأسى محموم
وأحسن أني دائماً مكلوم
وأكاد أنفي أنه مـردوم
هذا قضاء وأرد محتم
إن الحياة سعادة ووجوم
وكريم فضله ثابت وعميم
عهد جميل صانه القيوم
هل يقطع الحبل المتين كريم ؟
ويبوح بالأسرار وهي سُموم
يقضي على الظلماء حيث تقيم
وينود عنها ما استبدّ خصيم
واستعمرته كواكب ونجوم
رجل لطيف طيب وكـريم
لن يستكين إذا استبدّ خصيم

الصَّدق من شيم الكرام وعزمه
 عاش الحياة مناضلاً في أرضه
 فإذا اختفى لا تختفي أعماله
 الله أكبر كم أراض جابها
 أنست به كل الربوع وإنها
 تبأ لأيدٍ قد تطول جهوده
 هو لا يبالي بالرياح إذا عتت
 الله أكبر لست أنسى فضله
 قد كان فذاً نقتدي بخصاله
 حفظ الأسان مدى الحياة سلاحه
 من لي بغيرك حين أبوء حائراً
 من لي إذا أريدت سمائي لحظةً
 ألقاك يا أبتي تفك طلاسمي
 وتحذ من ألمي الشديد وتقتفي
 وتقول لي لا تحتفل بشذبيثي
 لا تشرق الأنوار في قلب طفلي
 بنس المصير وينس كل منافق
 فتعال يا ابني احتضنك هنيهة
 وأظلل حوله أستسيغ كلامه
 لا نحسب الأيام وهي قصيرة
 فب لي إلهي من نعيمك ذرة
 تغسل قلوب الناس بعد جفافها
 فاهنا أبي لا تنشغل بمصيرنا
 وإلى اللقاء أقولها متألماً
 ضاهى الحديد وصبره معلوم
 لم تثنه طول الحياة هموم
 أبداً وليس يطولها تعتيم
 كم شدة التشذيب والتطعيم*
 لمصيبة لو مسها تهشيم
 ومن الجهالة علمها المزعوم
 أو بالهجير يكف ثم يقوم
 صيتُ علامتفرّد وعظيم
 فالفكر واع والفؤاد حليم
 حفظ اللسان كرامة ونعيم
 وأرى الحياة نعيمها معلوم
 برق ورعد ، عاصف وغيوم
 وتواجه النيران وهي سُموم
 أثر الخيل صميم لأنني مظلوم
 فاحتشمتُهما حلا زقوم
 مهما قسا فمصيره مفهوم
 يأبى التناحر وهو فيه مقيم
 شاخ الزمان وبعضنا محروم
 وكلامه رغم السقام رخم
 والعمر حين يطول ليس ينوم
 دهرية ومزاجها تسنيم
 أنت الرجاء وعشقنا اليوم
 يحميه رب واحد وحكيم
 وإلى غد فرحيلنا معلوم

* كان الوالد رحمه الله فلاحاً قلباً وقالباً ويتقن عملية التشذيب والتطعيم إتقاناً كبيراً .

أجراس الكتابة

شعر : الأزهر النفطي

* الإهداء : إلى الشاعر العربي خليل حاوي

-X-X-X-X-

* تصدير : يقول أبو الطيب المتنبي في أول قصيدة مدح بها كافور الاخشيدى
«كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنيا أن يكن أمانيا»

قرع الهوى جرس الكتابة شاكيا
فتناثرت درر النداء قوافيا
وتزامنت سحب المغيب مع النوى
فتفاقم الأعصار في أعماقها
وتباينت سبل النجاة من الهوى
لترعرع الأشواق في أوصالها
وتعاضم الحلم الجميل مراوحاً
بين الأحبة ناصعا ومداريا
تتماسك الأجرام في ملوكتها
كتماسك الأفكار في أشعاريا
أرأيت كيف الكأس داعب وردة
فتجافيا في أضلعي وتصافيا
ولقد رشفت من الحنين سلافة
سكب النديم كؤوسه وسقانيا

فتمازج الوتر الحزين بصاح
وتشابكا في مسمعي وتناجيا
وتعانق الورد المدلل والندى
وتهامسا بالعشق في أبياتيا
أنا ما سكبت على جراحي دمة
فنزيفها مترادف بحر وفيها
يتنفس الجرح المعربد ثائرا
كتنفس الأوجاع في أحشائيا
هذا خليل الشعر يشرع كاملا
ليهدد الأحزان في أنفاسيا
ولقد كتمت فواجعي بجوانحي
ونذرت شعري مرشدا و مداويا
واخترت شعرك موطننا لقصائدي
فجفى فلم أقبل سواه منافيا
وسكبت حبرا من حريق صبابتي
وسمعت حرفي ناصحا ومواسيا
هبت عطور الشرق تنهض عاشقا
وتصوغ من نغم الحروف معانيا
فرأيت عبقر موطننا لفظا حل
كتب الخطاف حروفهم بكتابيا
ولقد عشقت من الورود رحيقها
فتمردت لجج الشذى بدمائي

(الثلاثاء 21 جوان 1994 / تونس)

أين من عشقي المفر

شعر : عادل الهمامي

كم بنينا عشقنا عند السهر
ومضينا نحو لحن راقص
أذكر الآن دموعي عندما
فحصدنا غصّة من خوفنا
أين همسي ؟ هل أتاه رافد
أم تراها الروح ضاقت بالشذى
أين عمري ؟ هل دهاه أفل
أم تراها الريح ضاعت كلما
ما لظلي هل بناه حالك
أم تراه الدمع شواء المرتمي

** **

يا حبيبي لا تدعني أنتظر
دع فؤادي يقتدي بالزهر ، بل
لا تقل في الحلم شيئاً لا يفي
فلواري الجرح همساً بالهوى
فتمادت في الفؤاد لحظة
لا تقل ضاعت أمان فاعتلى
لا تقل ضاعت أغنان فاروى
يا حبيبي قد قلبي من ندى
وظلال الحب ظل للمدى
لا تقل ضعننا وضاعت فرحة
حبنا يطفو حيننا مائلاً
لا تقل تهنا وتاهت موجهة

لحظة البسوح المنير المنتظر
دع قيود البحر موجاً ينكسر
بالعبير المستضيء المنتشر
والهوى ظل تفاداه القدر
من بكاء هذ عمري فانشطر
موت عشق كان ورداً فاحتضر
حسد ناس فيهم الوهم اعتبر
من نقاء ، قد من همس النظر
وظلال الشوق عطر للسمر
لا تقل ضاع الهوى مثل الصود
وحيننا دائم التيه قمر
يا حبيبي أين من عشقي المفر ؟

« التآكل »

بقلم : علي عبد النبي الزيدي

- العراق -

- 1 -

يلوك الفم بقايا طعام مائدة يابسة ، فارغة ، تنكسر الأسنان السود ، أثر ضربات العظام المتوالية والمؤثرة ، تتساقط الواحد تلو الآخر كجنود ملأت الشظايا أجسادهم الفضة في ساحة تصدير الموت - كل شيء بدأ يُرى بالمقلوب . أخذت الأم / تنن بوجع سني تلك الولادات التي حدثت ، حلت بمواعيد أكثر وجعاً ، طفق الأب يرتجف بشدة ، شفتاه لا تستقران البتة ، حاول أن يتمتع بجملة مفيدة ، لم تسعفه كل الكلمات التي يمكن أن يكون لها محلٌ من الأعراب ، لم يستطع السيطرة على حركة جسده ، أرسل الجوع الملعون مغارزه للسيطرة على مفاصل العملية الحياتية .

- 2 -

باتت المائدة الطويلة كل لياليها السود ، وحيدة ، خربة ، انفجر في داخلها ديناميت / الجوع / كانت تلك الآفة تصرخ بصوت يصم الأذان إلى الأبد ، امتدت الأيدي الكثيرة إلى روحها ، تلمستها ، بحثت عن لقمة تسدّ فم المعدة الصارخ ، لم تجد سوى السيد / الفراغ / يشهر سيفه الأسطوري بوجه وجودها .

- 3 -

طفقت / الأم / تقطع بقوة ، كان سكينها الكبير ، لا يتوانى لحظة عن قطع أجزاء لحم (الفريسة) إلى أجزاء صغيرة ، بالرغم من الحبال القوية التي ربطت بها / الأب / ووضع قطعة قماش سوداء على فمه وعينيه ، إلا أن محاولته التخلص منها كانت ممكنة لولا سرعة الأم بقطع وريد رقبتة أولاً ، بعدها فصل الرأس عن الجسد وسط شخير الأب المرعب الذي ملا صدهاء البيت ، ثانياً .. وثالثاً : طعنة الرحمة التي تلقاها في قلبه قطعت اتصاله المباشر بالحياة ، كل ذلك تم بصورة في

غاية السرعة والدقة .

-4-

جلس ، الجميع وسط صمت مجذب ، ملعون ، مقرف حول المائدة الطويلة ، الممتلئة ، عندما أعلنت الأم عن لحظة الصفر لنزال البدء ، شهر أبنائها أنيابهم على اللحم الممتد على طول وعرض المائدة ، لم يعد يسمع سوى عملية المضغ ، أفرغ الأولاد حمولة جوعهم على أرضها ، كان هجوما "كاسحا " ، استخدم الجميع فيه الأسلحة بأنواعها ، إنقضوا على جسد / الأب / بشهية سنين لا تعد ، بعدما غرز الجوع مساميده في جدار معدتهم ، صاح كبيرهم : « لم يأت أبي ليأكل ؟ » قالت : « لن يأتي ! » صاح الصغير : « أين هو ؟ » قالت : « في معدتكم ينام يهدوء ! »

-5-

أخذ سكينها يقطع بألية متقنة غير قابلة للخطأ ، طفق / الابن الصغير / يرفس بقوة ، فيما كان شلال الدم المنطلق من رقبته يغطي بقعة كبيرة من الأرض ، امتلات يدها بالدم القافى ، يشابها ، جرت ضحيتها إلى طست كبير ، مررت السكين على أجزاء جسده في محاولة لتقطيعه إلى قطع تسمح بوضعه في فم ماكنة (الثرم) .

-6-

أعدت المائدة بشكل منظم ، زاخرة بأطباق اللحوم المتنوعة ، تسيد اللحم المثلث أركانها ، بعد أن تحول من علامة / لحم / إلى علامات كثيرة / أطباق متنوعة من المأكولات / افترس الجميع طراوة / الابن الصغير / بشهية مذهلة ، كانت الأم تتوسط المائدة بعبقرية فذة ، تنظر بعيني / ذئب / تشير بأصابعها ، تهمس ، تحاور ، تتكلم ، تأمر .. عندما انتهت مراسيم الافتراس ، كانت المائدة قد أمست مجرد أنقاض ، بقايا خراب ...

-7-

جمعت / الأم ؟ خطبا يكفي لشواء ثور سمين ، أضرمت فيه النار ، اشتد اللهيب كانت الحرارة في أشدها ، سعيها ينتظر بكامل قواه ، استسلم / الابن

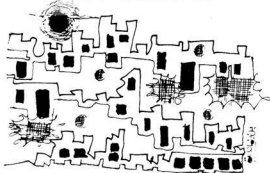
الكبير / لأوامر / الأم / ربطته على قطعة حديد طويلة ، سحبته إلى النار ، أخذت تقلبه بين الفينة والأخرى حتى احمرّ تماما ، كان لسانها يسيل منه لعاب أحمر ، لم تجد أي صعوبة في عملية التقطيع بعد أن أصبح ، جسدا مشوياً بصورة مثقنة ، عندما انتهت من طقس الأكل كان الابن السمين قد أمسى مجرد هيكل عظمي .

— 8 —

اقتربت من المرأة ، التصقت بها ، أخذت تحديق في تفاصيل جسدها المتكور ، شيعت وجهها بنظرات ألم مرّ ، ترائى لها أن قد فقد بريقه تماما ، دارت أمام المرأة ، حدّدت المواقع الطرية (الاستراتيجية) فيها ، وزعت نظراتها الذئبية إلى أجزائها بشبق كبير ، لم يتوان لسانها لحظة من لعق لعابها السائل على جانبي قمها ، بدأ سكينها بقطع أجزاء من لحم فخذها الأيمن ، الأيسر ، كانت تقطع بعنف ، لم تشعر بأي ألم ، لم تتأوه ، انتشر لحمها في الغرفة ، غطى مساحة جيدة فيها ... عندما عاودت النظر إلى المرأة ثانية ، وجدت نفسها مجرد عظام لا يكسوها أي شيء .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



قصتان قصيرتان جدا :

من تأليف : مختار المومني

١ - موت رجل

بعد أن حلق لحيته وتعطر ، بعد أن شرب قهوته وأفطر فتح باب منزله ... اجتاز الباب ... أغلقه وراءه ... نزل الدرجات الرخامية البيضاء ... اللعة ... صافحت قدماء الشارع الضيق المنعرج .. وقف في ارتياح ... ملأ رثتيه من هواء الصباح .. سار نحو عمله كصركاف بأحد بنوك المدينة ...

كانت المدينة العتيقة تتكاسل وهي تستقبل يومها الجديد . حيا الذين اعترضوه في الشارع الضيق المتعرج تحية الصباح بكل الود . سأل بعض الذين يعرفهم عن صحتهم وصحة عيالهم وأطفالهم ، لم يجاوبه أحد منهم ، لم يرد أحد تحيته . حاول أن يجد تفسيراً لذلك . تعب فكره ولم يجد ذلك التفسير .

أوغل في المسير والمدينة العتيقة تتشاءب ... صفر لحنا مشهورا لأغنية رائجة . اعترضه بائع الجرائد .. ابتاع جريدة ... ألقى نظرة سريعة على عناوينها في صفحاتها الأولى ... مجزرة في الحي الإبراهيمي ، تؤثر في العلاقات بين نولتين من أجل جاسوس . زلزال في ... إعصار يدمر مدينة ... فيضانات في ... تحطم طائرة مدينة وهلاك جميع مسافريها ... إضراب عمال مواني في ... أرقام مفزعة في حوادث المرور في العالم ... لاعب مشهور يطلق النار على صحافيين ... ارتفاع معدل الجريمة في العالم ... مرض السيدا ينشر رعبه في كل أرجاء المعمورة ...

لف الجريدة في عصبية واحتياج .. رصها في جيب معطفه ومضى . تفرس في وجوه الذين اعترضوه وهم يسرعون نحو عملهم ... كانت الوجوه متعبة ... مرهقة تشي بالحرز والانسحاق . فكر في أن الناس ، كل الناس تعساء ... شعر بضغفه وعجزه داهمه شعور يأس لا حد له . أسر في نفسه شيئا ، ومضى .

في صبيحة الغد وفي الباب الغربي للمدينة العتيقة وجدوه مشنوقا ... جثته تارجحها الريح كفرأعة للطيور .

* ملاحظة:

إذا وجد تشابه بين أحداث هذه القصة وبعض الأشخاص فليست مسئولا
عن ذلك .

×-×-×-×

محلات بيع الملابس الجاهزة والأحذية الفاخرة مفتوحة على مصراعيها ...
وأجهاتها البلورية تعرض آخر موديلات الموضة الناس يهرولون في كل اتجاه ...
بعضهم يهرول للحاق بالحافلة أو سيارة تاكسي ... البعض الآخر يهرول نحو
محلات بيع " البيترزا والهمبورغر " ... ألواح الإعلانات مضيئة تنسيك في لون
السماء المعتم ... الألواح تضيء وتنطفئ .. تنطفئ ثم تضيء - رجل يوزع أوراقا
ملونة ، أوراق دعاية لفتح مقهى جديد ... رائحة الجعة تفوح مختلطة برائحة
السندويشات " رجال وسيمون ، " متشيكون " يخاصرون نساء ا جميلات
بفساتينهن المشقوقة حتى منتصف الفخذ ... رجل كهل يأخذ حبيبته إلى شارع
جانبي شبه معتم .. وجده الشاعر كأن واقفا أمام محل لبيع الزهور ... كان وحيدا
وحزينا ، كان مفلسا . لم يكن في جيبه ثمن فنجان قهوة لقد مر وقت طويل على
وقوفه أمام محل بيع الزهور مما أثار رغبة صاحب المحل فأخذ يراقبه من طرف
خفي . مرت حسناء من أمامه ... سار وراءها وهو يهمس لها :

- " علاش اللوز منبوز ؟ "

التفتت إليه ...

ابتسم لها ...

ابتسمت له ...

دعته إلى مرافقتها .. خاصرها ثم سارا مع السائرين في الشارع الصاخب الطويل

* * *

ازداد استغراب بائع الزهور ، حدث نفسه متعجبا .

- يا لها من طريقة جديدة في الحب !

عندما وصلا نهاية الشارع قفلا عاندين على أعقابهما ...

سألكه وهي تقترب من محل بيع الزهور

- ما رأيك لو تشتري لي زهرة حمراء ؟

أجابها :

- بكل سرور أيتها الجميلة .

وهو يمسك بيدها البضة قال لبائع الزهور

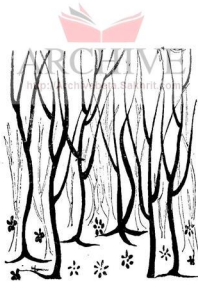
- اختر وردة جميلة لهذه الفراشة الحسنة .

عندما كان البائع يمد لها الوردة الحمراء التي اختارتها قال له الشاعر :

- أنت أحق بهذه الفراشة مني ما دمت تملك زهرة حمراء ثم سار في الشارع

الطويل الصاخب حتى غيَّبة الزحام أمام دهشة الحسنة ويا ناع الزهور .

صفاقس أكتوبر 95



الجواد الأشهب

بقلم : بلهوان الحمدي

كان صغيرا بشكل مدهش ، بل كنّا جميعنا كفراخ في موسم شحيح . كبرنا الآن وما كبرنا . انفرط العقد الفسيفسائي : أسماء وقامات وأحلام مشرعة في فلاة بين الخشب والحديد والطبشور والحانة ومحرك معطوب ...

طار الحمام وما عادت الدار دارا ، أقفر الوكر أو كاد وما نسيت راحلتكم الشهباء ، تلك الدابة عيون وأجنحة القبيلة .

هو حمار قصير سهل الركوب ، لكنّه يجنّ كلّما أبصر أتاننا وينقلب مسعورا فيسقط راكبه ومحموله . كم هو طائش ذلك الأشهب كالقمر !

كان منجاكم أيام البرد والوحل وفيضان الأودية ، تلجؤون إليه حين يجرّ العربة المستطيلة ذات العجلات المطاطية ، تفتقر لأبسط مقومات بلا ركاب أو مقاعد ، صنعها الوالد بمساعدة الأبناء الناشئين وقد سلّمتهم الوزارة آنذاك إلى نوريهم وهم على مشارف الربيع الأخير من عقدهم الثاني ...

صاحت ديكة القرية وتعالى نباح الكلاب محدثا موسيقى جنازينة وداعا لصديد الليل فأذنت ساعة السفر . الوقت شتاء وتبكي السماء سخية بلا حساب .

كانت بالنسبة إليك نذير شؤم ومواسم توجّس أيام الشتاء بلياليها الطويلة ، وأنت منفيّ ينتظر انفراجا ما ... لا تدري ما تناولت تحديدا « أتبسي » من الثريد الساخن أو شيئا ممّا تبقي من عشاء البارحة .

- انهض يا عليّ وهزّ الحمار ، كان صوته صراخا قاطعا أحيانا . هو رجل صارم جدّا في البيت ومضرب للأمثال ظرفا ولينا خارج البيت . ينتزع الضحك انتزاعا من الحجر ، ربّما كان على صواب !

ينهض الصبّي مذعورا . النداء انتشله من كابوس أجاج : غريان ترشّ قلعتي حمّا مسنونا ، قلعتي التي شيّدت ذات ضحى . اشتعل رفشي البلاستيكي الأحمر وسطل الماء الأخضر وتناثرت أحداق ومواويل جرفها همج ، هو ذاك حمّام الساعة العاشرة !! فهل تذكرون حمّام الساعة العاشرة ؟

يجهز الحمار بلجامه ويقدم له بعض التبن المبلل . يعضغه ، يلوكه على مضض تحت زيتونة مستديرة وترفل أذناه فوق رأسه الفولاذي مستاء من الغبن الفاحش الذي يستهدفه .

سيقلع الموكب بعد قليل صوب المدينة على مدى بعض الأميال من ريفنا المنسي . وندب تحت سياط المطر ونظرات الوالد الحيرى يختلسها اختلاسا . ينز الأشهب بحمله لكنه لا يكر بل يظل يركض ، يسير في الوحل ويجتاز المستنقعات والأودية في فضاء تغمره أشباح الظلمة ورسوم البرق تعاكسها . يسير والعصا النافرة تهدده وتذك ظهره العاري كلما تراخى أو حاد قليلا عن الطريق متجها إلى حافة النهر .

يدخن الوالد ولا يكف عن ذلك لأن السجارة تقيه كفر البرد كما يزعم . والشقيق الأكبر بدأ ينفث أولى غيماته السوداء يلوث رنتيه الخضراوين هو الآخر يستشرف رجولته ورشده .

ها نحن الآن نمر ببساتين البرتقال المحاصرة بالأسلاك الشائكة : الثمار تتأهب كحسناء محرورة للعناق . أه ! كم كان يعذبك لوئها ودلالها . البرتقالة تراقص قلبك لينخلع ويطير إليها . يرتسم وجهك فوق وجنتيها الذهبيتين . لكن البرتقالة تطير مقابل عملة صعبة وخيل إليك - وأنت غرير - أننا نبيع

البرتقال مقابل صعوبات أو مصاعب !!

لا بد أن يكون لنا منها نصيب بفضل كفاهات شقيقي المرتب الثالث في إمارة والدي الفاضل . فهو يتسلق كسنجاب ويقفز كقط ويزحف كحية رقطاع على الحواجز وفوقها ، يتسلل لغابات الكروم والقوارص وغيرها بحسب الفصول عندما يعود مسطولا من المدرسة كل مساء ...

مع أول خيوط صباح جديد توقفت العربية والجواد الأشهب أمام « البرأكة » وهي مستودع لبيع وشراء الفحم شتاء واللوز المر والخروب صيفا والخردوات كامل فصول العام .

ينط الصبية الأربعة كالجراء نحو الفطائري ويلتحق الرجل بمقهاه المفضل حيث تهفو إليه حلقة أصحابه : « بوجردة » و « الحشايشي » و « البشاكتي » هي

كُنِيَّات طَريفة تحيل على عوالم عجيبة !

ينهمر الضُّحْكُ في المَقهى وتجلجل الخطب متراوحة بين نحر « بوجراة » آخر ناقة أو جمل ووفاة « عبد الناصر » الموجعة مروراً بتجربة التعاضد السَّريالية في بلدتنا ...

لكنَّ الرَّجُل لا ينسى الأفواه العشرين المفتوحة والأيدي الأربعين والحاجات لا يحصى لها عدد .

أخيراً انفضح قرص الشَّمس وبان النَّهار وقد صحا بعض الصُّحو ، واستلم الصَّبِيَّ القيَّادة ! يعود محمَّلاً بالشَّاي والسكر للجلسة الصَّبَاحية والخميرة لعجن الخبز وطلين من « الكرشة » وليمة الأسبوع . الجواد الأشهب لبيب يعرف طريق العودة ويسرع فيها خفيفاً رشيقاً يتلهف خطَّ الوصول يسابق غمراً من القُرْط ، يتضاعف يوم نقل الأحجار والإسمنت والحديد لترميم « نوالتنا » وهي كوخ من الدَّرَجَة العاشرة ينقلب مستنقعاً كلَّ شتاء ، تعاقره الأمَّ ربيع يومها تعدَّ وجبات الصَّبَاح والغداء والعشاء للبطون المحتجة بلا انقطاع .

الآن وقد نبت الكرم وأثمر على دمنته من عشرين عاماً ، لا زلت تتذكَّر كيف شيعتموه وودعتموه الوداع الأخير بأسف . وقال الوالد لأحد أصدقائه « واللَّه فقدت الأشهب كما لو فقدت أحد أطفالتي . »

والآن وحده الصَّغير العجيب لم ينس حماره الأشهب الأزعر القصير الذي جمَعَ شتاتنا ذات أزمنة وجيب الأب الذي كان يجب أن يكون مثقوباً بفعل فواعل لا شك٪



السياسة

قصة : جاك بروسار *

ترجمة : عثمان الجلاصي الشريف

لقد تمّ ايداعه السّجن منذ سن السابعة ... إنه سجن مثالي يسمح فيه للأولياء أن يحتفظوا بأبنائهم . كانت تحيط به ساحة شاسعة وكل واحدة من البنات العديدة بها عدة قاعات فسيحة ، ملئ بعضها بطاولات كبيرة ومقاعد كنائس طويلة وصفوف من الأسرّة والبعض الآخر به كراسي و " صناديق - جوك " و " لعب بليار " وتجهيزات أدواش وأفران ... إنها أنوات جيدة وعصرية .

لم يعرف البتة الجرم الذي اقترفه أبواه ولا سبب إيقافهما والحكم عليهما ولا حتى لماذا تمّ سجنهما ولا السبب الحقيقي لاعدامهما وحرقهما ثم ذرّ رمادهما صبيحة اليوم الذي بلغ فيه السنة الرابعة عشرة من عمره .

في حقيقة الأمر لم يعرف جيّدًا أمّه وأباه إذ وقع سجنهم كل على حدة ذلك أنه في هذا السجن النموذجي توجد قاعات وبنات خاصة للرجال والنساء والأولاد والبنات ولا يحق للأسر أن تجتمع سوى في أربع مناسبات : خلال الأسبوع الأوّل قصد التكيّف مع المحيط الجديد ، في اليوم الأوّل من كلّ سنة حتّى لا ينسى بعضهم البعض ، مرّة كل سبع سنوات يوم عيد ميلاد الإبن الأكبر وخلال الليلة التي تسبق ليلة إعدام الأبوين وحرقهما .

بعد إيقافهم لم ير أمّه وأباه سوى سبع مرّات .

..لقد كان بالإمكان أن يراهم ثماني مرات إلا أنّه لسوء الحظ كان يوم عيد ميلاده الرابع عشر هو نفس اليوم الذي أعدم فيه أبواه وهو ما حرّمه إحدى هذه اللقاءات (وهذا الأمر لا يتعدى محض الصدفة...إذ لم يقع النظر في مذكرته الشخصية فقط..)

هذه اللقاءات الدورية تسبّب مرة شيئا من البلبلة في المعتقل لا سيما أثناء اليوم الأوّل من السّنة ... لقد كانت من المناسبات النادرة التي يستطيع فيها النزلاء القيام بشيء من الحركة متنقلين بين مختلف المباني . الأطفال وأولياؤهم كان يسمح لهم بالتجوّل في مسار دائريّ بدءا من قسم الرجال إلى المبني المخصص للنساء ، إلى

” إقامة البنات ، إلى مبيت الأولاد ثم إلى غاية المبنى المخصص للرجال ثانية وهكذا نواليك . كان الأب أول من يخرج من العائلة ويعود الأخير إلى المبيت ... وحدهم اليتامى العزّاب يستطيعون التمتع في اليوم الأول من السنة بقاعة موحدة حيث يسمح لهم بالتحاور في شكل مجموعات صغيرة على أن يتم هذا وقوفا نظرا لضيق القاعة . غير أنه يحصل أيضا للمساجين المتجولين في الساحة أن يتجانبوا صدفـة - أكيد أنه لاحق لهم في التحادث لكن ليس بالإمكان منعهم حتى من النظر إلا إذا فقت أعينهم . وهو ما ترغب فيه الإدارة .

... عندما رأها للمرة الأولى كان عمره تسع سنوات ... لقد شعر في الحين بمتعة كبيرة . كان لها نفس عمره لكنها كانت شقراء في حين كان هو يميل إلى السواد وكانت عيناها الخضروان شفافتين بقدر ما كانت عيناها داكنتين . لقد كانت على غاية من الظرف ... وفي كل مرة يتقابلان في الساحة بمناسبة اليوم الأول من السنة ينظران إلى بعضهما في حياء ويتبادلان الإنتسامة خلسة ... لقد تعلما كيف يوجهان الاشارات وأصبحت بالنسبة له حصته السنوية من الشمس ... السبب الذي يشده إلى الحياة ويجعله إلى غاية السنة الموالية .

... في هذا المعتقل المثالي ... الفداء محترم والمقيمون يأكلون بما يفوق حاجتهم كل يوم أحد حتى يشمتلوا أفضل خلال أيام الأسبوع ... ذلك لأن الشغل يحرر الإنسان ويجعله نبيلاً .

... في الحقيقة كان يحب عمله ... إذ هو يوفّر له فرصة يومية للقيام ببعض الحركات والإلتقاء بأصدقاء أثناء العمل في الساحة الكبيرة كلما سمحت بذلك درجة الحرارة في هذا البلد الشمالي .

على مرّ السنين وقع بناء مزيد من المخابئ : صفائح من حديد مشبودة إلى أعمدة تسمح للنزلاء بالعمل خارج المباني رغم تهطل الأمطار والزوابع الشجية باستثناء أيام العواصف القوية إذ أنّ الأعمدة تغوص في الأرض ولن يتمكن أحد من اقتلاعها حتى وأن كان أقوى إنسان .

.... إلى حدود سنته الرابعة عشرة تمثل عمله في حل لفائف ضخمة من الأسلاك الحديدية بينوا له أنّها في ما بعد سيتم صفرها من قبل مقيمين آخرين قصد

استعمالها في وقت لاحق في إنجاز السياج الجديد والمقترح إقامته حول المعتقل على مستوى أبعد بكثير من السياج القديم لأن عدد المقيمين لا ينقطع عن التزايد سواء بسبب الاجتماعات الدورية التي تتعقد بمناسبة اليوم الأول من كل سنة أو بوصول دفعات جديدة .

رغم طول قامته ونحافته وهشاشته فهو لم يشتك قط من عمله : كانت له يدان قويتان وأصابع ومعصم صلبة شديد مما جعله يصبح العامل الأكثر احتراما في هذا المكان .

في اليوم الموالي لعيد ميلاده الرابع عشر منح عطلة لمدة أسبوع قضى اليومين الأولين منها متجولا بين قاعات " البليارد " غير أن الجميع كانوا يضحكون منه ويضربونه على ظهره كلما تلبث عيناه بحكم تفكيره في أبويه اللذين غادرا الحياة بالأمس . ومثل هذا الأمر لا يتواءم مع سمعته الطيبة كعامل ففضل أن يختصر عطلته ويستأنف عمله في الحين ... ليواصله حتى أثناء الراحة الأسبوعية. لقد تعود على ذلك وارتفعت مرئويته بصفة ملحوظة من ذلك الوقت وهو ما جلب له الامتياز في نظر الإدارة العليا للمعتقل فكلّف من باب المكافأة وفي أسرع وقت بخطة جديدة أكثر أهمية من الأولى وأكثر نفعا .

هذه المرة عيّن في ظفر الأسلاك الحديدية وشرحوا له أنها ستستعمل ذات اليوم لصنع السياج الشمالي وهي ترقية هامة بالنسبة له لقد سعد بقدرته على أن يكون نافعا للمجموعة ويعمرفه دوره في حياة المعسكر إلا أن لذته الكبرى تمثلت في اكتشافه لموهبة خاصة في فن ضمير الأسلاك الشائكة في أناقاة ومرونة مع صلابة في وجه كل الامتحانات .

في ما يخص الشغل كانت هذه وما من شك أثقل أيام شبابه لقد حصل لديه شيء من الرضى عن النفس غير أن كل هذا سرعان ما أصبح لا يكفي ... لقد صار يحلم كثيرا بالصغيرة الشقراء التي يراها في اليوم الأول من كل سنة .

هي بدورها بدأت تكبر : ألا يكون باستطاعتها أن تصبح في يوم من الأيام زوجته ؟ بعد موت والديه كان يتمنى لقاء في أكثر حرية في القاعة الجماعية المخصصة للإيتام والعزّاب وذلك كل أول يوم من السنة ... إلا أنه ليتّم له هذا نسي أنه عليه الانتظار لتصبح بدورها يتيمة والحال أن أبويها في مستقبل العمر . كان يكاد

لا ينظر إلى الفتيات الأخريات، أصبحت الصغيرة الشقراء الفكرة المسيطرة عليه .
للإحتفاء بعيد ميلاده الثامن عشر أتاحت له إدارة المعتقل أكبر فرصة سعادة في حياته . إذ أنه في ذلك اليوم كان كل المقيمين ملزمين أو مرخص لهم تعلم ممارسة الجنس مع الطرف الذي يختارونه أكد أن الهدف الحقيقي من هذه العملية هو تزايد وتجدد نزلاء المعتقل إلا أن هذا السبب النفعي كان بعيدا كل البعد عن فكره في اليوم الذي أتاحوا له فيه فرصة التعرف على صديقته في كل حرية .

قبلت في فرح وحياء أن تكون رفيقته ... رغم سنّها كانت جميلة تقريبا وجذابة ... وثمة ملامح بريق سرّي في أعماق بصرها وكان عليه اكتشاف نبهه .

هذه السنة راوده شك حول أعماقها لكنهما أقسما على الوفاء ... أليس لديهما كل الحياة للتعرف على بعضهما .

كيف له أن يتنبأ أنّه لن يراها سوى مرة واحدة . في اليوم الأول من العام الموالي؟ الأسباب لا يرغب البتة في فهمها ... أطردت صديقته من المعتقل بعد هذا اللقاء الثاني . أي بعد ثلاثة أشهر بسبب العقم ... لذا انغمس في الشغل أكثر من أي وقت .
لقد نجح في هذا الأمر ... ذلك أنّه صبيحة يوم عيد ميلاده الواحد والعشرين تم تعيينه لتشبيد السياج الجديد على مشارف المعتقل . بعد الانتهاء من الأعمال التحضيرية ... سيكون الآن دور عمل الرجال الحقيقي وعلاوة على هذا تتطلب منه خطته الجديدة ساعتين كاملتين من التجوّل في الهواء الطلق ... نصفها على متن سيارة " الجيب " والنصف الآخر سيرا على الأقدام وهو ما مكنه من أن يرى لأول مرة الضفة الأخرى للخنق العميق والعريض جدا . وعلى مشارف المعتقل الطريق الملتوية الصخرية والمغطاة كلياً بالأعشاب المصفرة والعليق .

لم ير مثل هذه النباتات قط ... لقد كانت بالنسبة له صدمة ... شعر أن مثل هذا الاكتشاف بالامكان بأن تنجر عنه في ما بعد نتائج خطيرة .

... لم ينس بعد مرافقته لمدة ليلتين . النظرات التي تبادلها على امتداد تسع سنوات كل أول يوم من كل سنة ربطت بينهما قبل اللقاء .

أحيانا يحدث له أن يتساءل كيف أصبحت منذ رحيلها؟ غير أنّه كان عاجزا عن تخيّل حياتها الجديدة ... وسطها المهني ... أصدقاءها لا سيما أنه لا يعرف شيئا

عن العالم الخارجي: ذكرياته القليلة تعود إلى ما قبل السجن ... إشارة عامة وعابرة كان يقوم بها أبواه حول حياتهما قبل الإيقاف ... صورتان أو ثلاث صور قديمة يتلمحها خفية ... كل هذا بدأ تقريبا يوحى إليه بمشاهد باهتة ومقتضبة عن ماضيه . رؤية الهضبة الشهباء برعمت في داخله الرغبة المرعبة والتي شيئا فشيئا ستنفرس في فكره ... انه التوق إلى أن يكتشف في يوم من الأيام ما الذي تخفيه عنه هذه الجثمة من العالم .

إن عمله نفسه يسمح له بذلك ... أليست مهمته هي اعلاء السياج الجديد المصنوع من الأسلاك الشائكة بمعىة رفاقه لكي يحيط بالمعتقل ؟

ألا يكون هؤلاء النخبة من العمال ويحكم قلتهم بعيدين الواحد عن الآخر بما فيه الكفاية ؟ أما عن الحرس فيحدث أن يكون لهم شيء من الاستراحة أو على الأقل قضاء بعض الحاجات .. السياج بما أنه منسوج من أسلاك حديدية متقاطعة أفقية وعمودية ، متينة وموضوعة على مسافة ثلاثة أمتار الواحد عن الآخر على المستوى الأفقي ألا يمكنه أن يتحوّل ذات يوم إلى درجات سلّم على الأقل أثناء ساعات العمل عندما يقطع التيار الكهربائي .. كل الأشياء تتضافر لتساعدوه ، إنه القدر .

على كل حال واعتبارا للقياسات الجديدة فإن المحيط الذي سيتمّ تسجيحه يكون قدره تقريبا خمس مائة ميل . الإدارة تحب هذا النظام ، السياج يجب أن يعلو في تناسق ... نفس الإرتفاع في كل الجهات إلا أنه بسبب إرتفاع الجثمة كم سيتطلب الأمر من سنة ليرتفع السياج بما يسمح بالرؤية من الأعلى ، المستقبل سيخبره بهذا رغم الانخفاض التدريجي لنسق عمله مثلما هو الشأن لأغلبية رفاقه الذين يكاد لا يراهم البتة توصل إلى هدفه قبل الأجل المتوقعة . لم تكتمل بعد سنته الثامنة والعشرون عندما بلغ السياج الدائري إرتفاع عشرة أقدام ، كان يعمل عندئذ في شمال المعسكر .

بعد بضعة أيام اغتنم فرصة غياب الحارس فتسلّق بقلب راجف نصف الأربعين درجة للسياج . أكيد أنه خدش حذاءه الوريي ... قطع سرواله وسلخ كفيه بأشواك الأسلاك ... لكنه عندما رجع إلى المعتقل استطاع أن يمرّر كلّ هذا على حساب الشغل .. أما بالنسبة لجراح يديه فقد اضطر إلى أن يلعق الدم بلسانه .. لقد أجهد

نفسه ليضع أصابعه بين المخالب ... ولكي لا يكون هذا جزاؤه .. تمكن بفضل إرتقائه ورغم تراب الخندق من أن يمد نظره إلى مسافة ثمانية أميال تقريبا ، بعيدا عن المعسكر ليشاهد القتل والمرتفعات الكثيفة الطحالب والأعشاب والنباتات الطفيلية لقد رأى أيضا بعض الشجيرات واثنين أو ثلاثة أدغال .

طبعاً ! كان يجهل اسم النباتات والشجيرات . السماء كانت مغمية وشخماء من جهة المعسكر لكنه أعجب حد الدهشة بكل ما استطاع رؤيته أي ما وراء الخندق المائل إلى الصفرة .

كم كان العالم جميلاً ؟!

كان عليه أن ينزل من السياج بكل سرعة ... لكن الألوان فات والمرض بدأ يبرعم في داخله ... لقد بدأ منذ ذلك الحين يتذكر طفولته وقرية أضعافها إلى الأبد ، وقرّر أنه ذات يوم سيصعد أكثر يرى أبعد ممّا رأى . لقد أصبح أيضاً العامل المثالي لهذه المؤسسة النموذجية ... في المساء كان لا يزال يختلط برفاقه في المطعم أو في المبيت ، لكن لم يعد أحد يكلمه .

كان يجهد نفسه أحياناً ليصف لهم كل ما استطاع رؤيته من الجهة الأخرى للخندق ، كان يحاول أن يجعلهم يتخيلون ويعجبون بجمال النباتات والشجيرات ... ويتألمون مثله كل سراب الأفاق تحت سماء الشمال الفسيحة لكن بعين فارغة وضجر وقسوة ... كانوا ينظرون إليه دون فهم ويسخرون منه لذا كان يصعد إلى فراشه ويتمدد على حشية القش ويداه تحت رقبته .

لقد أصبح صموتا ومنغلقا على نفسه نظره الأسود كان كثيراً ما يتيه في الفضاء اللامتناهي للجدران والسقوف غير أنه يحدث له أن يحترق أحياناً بنفس تلك الشعلة الصغيرة المظلمة مثل رفيقته في ما مضى والتي بدأ رغم كل شيء ينساها (يتأسف أحياناً لعدم معرفته القراءة والكتابة لكن في ما يجدي هذا ؟ لم يعد ثمة كتب في المعتقل)

ذات يوم عندما بلغ الخامسة والثلاثين وقد ارتفع السياج عشرين قدماً اغتتم فرصة ذهاب الحارس للتبول فتسلق بأسرع ما يمكن ستين درجة من مجموع الثمانين . ولكي لا يصاب بجروح لبس هذه المرة قفازين وخرمات من الجلد على

أساس استعمالها أثناء العمل ... كانت هذه المرة الثانية التي يكذب فيها ... لم يسمح له الوقت سوى بالقاء نظرة عابرة من أعلى السياج... وهذا كاف للشعور بالمتعة . هناك بعيدا في الأفق شمس باهتة اللون لكنها حقيقية فعلا وهي تغيب خلف غابة كثيفة من أشجار السندر والصنوبر المخروطي تمتد على مرمى البصر ... إلى مسافة تقوت الأربعين ميلا ... من الغرب إلى الشمال ومن الشمال إلى الشرق . كانت أكثر روعة من المرة الأولى .

سمع الحارس يسعل وهو راجع فأجبر على النزول بسرعة من مرصده والقفز من مستوى الدرجات الأخيرة ... مما سبب له التواء العرقوب وهو ما أرغمه على الكذب للمرة الثالثة ... لقد أصبح المرض نهائيا إذ أنه بداية من هذه الليلة خاصة ستنتزع في أعماق نفسه الرغبة المحزنة في الهروب وزنأته الآن من أكثر الزنانات رفاة في هذا المعتقل النموذجي بلغ عمره تسعة وأربعين سنة ... جبينه حفر وتعرى ... صد غاه خطها الشيب . يداه الخشنتان غطتهما قشرة مصفرة لكنه سعيد : يعرف أنه في يوم من الأيام لن يكتفي بالإعجاب بهذه المناظر الطبيعية من فوق السياج بل سيفتتم فرصة غياب مطلوك لحارسه ليقتلق السياج بقلب خافق ويتخطاه ... سيجد نفسه في الجهة الأخرى... إذا رجع الحارس بأسرع مما هو متوقع سيلقى بنفسه في أعماق الخندق اذ هو لا يزال قويا وخفيف الحركة بما فيه الكفاية ليقوم بهذا ويصعد المرتفع الوعر الذي يفصله عن الجثمة في الحين . وعندما يصل إلى هناك ما من طلقة نار تقدر على إصابته ... في انتظار ذلك هو الآن فخور أكثر فاكثُر بالسياج الذي هو بصدد إعلانه ببديه ، بكل حرية وإرادة ويقدر المستطاع في حين أن رفاقه الأقل حظا منه ، عليهم أن يعانون في الداخل وأن ينهكوا أنفسهم في القيام بالأعمال المتواضعة في كآبة وضجر .

ولأنه لم ينجب أبناء من مرافقته لليلتين أسعفه الحظ ليقلت من الاعداء المصير الحتمي للأولياء المقيمين بهذا المعتقل النموذجي انه من بين أولئك الذين يتركون ليفنوا نتيجة موت طبيعي في زاوية وهم يفخرون بقوتهم وشجاعتهم واستقلاليتهم ، أما هو فيعرف أنه لن يموت مثل الآخرين ، لن يموت في هذا المعتقل . إذا كان عليه أن يموت سيكون ذلك بعيدا جداً قرب نهر الشمس الساطعة ... التعاسة الوحيدة

في حياته هي أنه لا يقدر على الرد على الإنسان الوحيد الذي يأتي لزيارته من خارج المعتقل ، العمال المثاليون لهم الحق في استقبال زائر مرة أو مرتين في السنة ليلة عيد ميلادهم شريطة أن يكون الزائرون قد استفادوا من هذه العملية عندما كانوا بنورهم سجناء ... غير أنه في مثل هذا اليوم من كل سنة يسمع الحارس الأول وهو يناديه باسمه ويستمتع أحيانا إلى صوت « أخرس » ومرتجف شيئا ما لإمرأة تطلب مقابلته فيردون عليها بأنه لم يعد يقيم هنا ثم أمام إلحاحها يوهونها أنه مريض ... عندئذ يأخذ في الصراخ والضرب على الجدران بيديه ورجليه إلى أن تتعب رأته من فرط الصراخ وترتخي أصابعه ويصدع رأسه ... الجدران مغلقة وعازلة وما من أحد يستطيع أن يسمعه تنتهي الزيارة وتغادر المرأة المكان ... ومن زيارة إلى أخرى يخفت صوت الغريبة أكثر فأكثر لكنها تعود دائما .

أما السياج فقد بدأ يرتفع وسيبلغ ارتفاعه الثلاثين قدما قريبا وهكذا سيقدر على رؤية الأودية والجبال الممتدة حول المكان ... وأبعد من المراعي والغابات الصنوبرية والشجيرات التي كم يود أن يعرف أسماءها أنه يعرف الآن أنه ذات يوم سيفر . هكذا يوما بعد يوم شهرًا بعد شهر كان يزيد إلى سياجة حلقة ... حلقة أخرى سيعمل ببطء متزايد ... لكن سياجه بلغ ارتفاعا يزيد عن ثلاثين قدما ... في عيد ميلاده الثالث والستين سيكون بالإمكان تهنئته على ما حققه من عمل . لقد أهديت له مهمة جديدة أكثر سهولة ومتعة من سابقتها .. تتمثل في دهن قسم من سياجه بالدهن الأليمينيوم أو الفضة ... هذا الشغل سيعجبه وسيستغرق أربع عشرة سنة لإنهائه .

عندما يبلغ السابعة والسبعين ويكون قد استحق من الإدارة العليا للمعتقل شرف عناقته من قبل أحد الملازمين ... سيكلف بمهمته الأخيرة المتمثلة في أن يدهن بالأسود ركنًا صغيرًا من السياج يبلغ قدمين عرضًا وستة أقدام طولًا مثل باب يفتح على المجهول . سيقبل هذه المشقة دون أن يتفوه بكلمة لكنه سيغالط نوعًا ما الثقة التي وضعت فيه طويلا . ذلك أن هذا الخائن قرر أن يستغل هذا العمل ليهرب ويذقته المعهودة وثابته لا بد أنه قد خطط لكل شيء .. توقع كل شيء في أدق تفاصيله هذا اليوم سيكون قد دهن بالأسود آخر خيط سلكي للمساحة المحددة خلال

الشهر يكون قد كسب ثقة حارسه المسن ... هذا الأخير سيعتبره برجوازيًا طيبا ،
حكيمًا وشهما ... وكذلك شيخا ممتازا غير قادر على الإعتداء ودون وسائل دفاعية
في منتصف النهار ساعة تناول الغداء معا . سيلقى الشيخ الطيب على وجه
حارسه ملا السطل مما تبقى من دهنه الأسود الذي قد مزجه بالجير الحي
والحامض الفسفوري الذي سرقه من الورشة . وفي حين كان الحارس يصرخ من
الآلم في اختناق وهو يقتلع جلد وجهه ... افتك منه السجن بندقيته ليهشم له
جمجمته بمأخرتها ... ثم استعاد أنفاسه بعد ذلك ليتشبث بصعوبة في الأسلاك
الشائكة ... متسلقا في تادة أكثر من مائة درجة ليتوقف مرة أخرى قصد
استرجاع أنفاسه .

... من أعلى السلم ، من وراء الغابة الكثيفة من أشجار الصنوبر ومن وراء
الأوراق الشبه منتعشة لغابة قيقب أكثر بعدا ... تبينت له في الأفق السقوف
الزرقاء العالية لإحدى القرى ... أشجار التفاح البيضاء التي تحيط بها ، المنحدرات
الكثيرة الأودية والشديدة الخضرة لجبل مغشى بالضباب . سيرى وقد تعالى فوق
السطوح تماما مثل ما في حكايات الجن والعمارة بخافا بطيئا وريداً سرعان ما
ستفرقه الرياح . سيحس أن الشمس تشع خلفه هناك في الأعلى في صفاء السماء
التي يرى شفقها للمرة الأولى .

سيجعل بتسلق الدرجات الأخيرة للسياج ، على ارتفاع ثلاثين قدما عن الأرض .
سيتوقف ويلتفت لحظة ليتأمل في البعيد على مسافة خمسين ميلا ، البنايات ،
مداخل المعسكر العالية ، كان يستعد لتخطي السياج دون النظر إلى الخندق عندما
ظهر أمامه الشدق المزد ، السائل لعابه ستة كلاب « دويرمان » وقد أمسك بها
في صعوبة ثلاثة حراس .

الرياح سترتفع فجأة وستلقى به على السياج ، سيسمع نباح الكلاب وسيندم على
عدم فراره في وقت مبكر .. على عدم تجاوزه هذا السياج منذ أمد عندما كان
ارتفاعه دون هذا المستوى وعندما كان أقل سنا وأكثر خفة ورشاقة. الحراس
سيطلقون النار عليه... طلقات ستصفرعبر السياج لكن ما من أحد يقدر على إصابته.
هبوب ريح على غاية من القوة سيقتلعه فجأة من السياج ليلوح به في الفضاء ،

فوق الخندق وأكاداس التراب ، ستلقى به الزوبعة بسرعة مثل طيارة من ورق فوق الهضاب والمرتفعات ، فوق الغابات والأجمات ستحلق به فوق غابات الصنوبر والقبب إلى غاية بنايات الحقل ... وحقول العلف ... إلى منازل القرية العائمة منذ قرون في بحيرة طفولته الكبيرة ، دوامات الرياح ستأخذه عالياً فوق سقوف مائلة .. فوق أمواج البحيرة المزيدة ، فوق الجبال وأشجارها العالية . ستأخذه الزوبعة أيضاً مثل عصفور مذعور إلى حدّ السحب حيث يرى مختفياً ، جارا خلفه لافتات ملتوية من الأسلاك الحديدية والفضية .. وسرعان ما سيرى السياج وهو يلتفت خلفه إلى ما لا نهاية ليندثر بدوره في أعماق السحب وقد امتصت العاصفة ... لقد نوت طلقات نارية بعيدا عن الساحة المفتوحة لهذا السجن النموذجي وملا الفضاء صراخ فرح .

إنّ لو أردنا التوقف عن رسم كلمات بلا جدوى على قشرة السندر المجروحة لنغادر قصرنا الشتوي المختفي في أعماق الغابة . إنّ بإمكاننا الخروج من هذه الغابة التي تحبها كثيرا ... سنقدر على أن نجد الطريق ... سنستطيع رؤية الأرض والأوراق المبللة تحت أقدامنا . سنسرع الخطى تماما في خط مستقيم أمامنا تحت شمس منتصف النهار ... في اتجاه هذه البساتين المزهوة حيث نسبق لاقتطافها كل الفارين إرادياً من المدينة النموذجية ... كل الذين قدروا مثلنا على القرار في حياتهم . ثم ننطلق جميعا للبحث عن القرية المتخيلة لاكتشاف بحيرتها ، مزارعها ، دكانها ، دوابها ، شوارعها ، ساحاتها ، أشجارها ، حنفياتها العمومية ، منازلها ، سقوفها ، أبوابها ، نوافذها ، حدائقها المهمة في الحلم واليقظة منذ أوّل مساء وأوّل صباح

16 سبتمبر 1973

* الهوامش :

جاك بروشار : كاتب كندي له من المؤلفات مجموعة قصصية Le metamorfaux

(منشورات هـ / م / هـ (H M H)

دم الزكري « رواية » (منشورات لايراس)

عصفور النار « رواية »

أحرز على جائزة بوفارناي (1977)

الشعر والمهرة الفارسية

بقلم : جمال الخراي

... وعدتُ صديقتي الغالية من سفري إلى غرفتي الغارقة في الوحدة والظلام .
رجعتُ من سفري وفتحتُ ذاكرتي ومحفظة السفرِ وذكّرتُ إنْ امرأةٌ قد إلْتَقَتْ بي
ورأيتُ لا قيتُ صبيئةً فارسية ... لم أنتبه عند اللقاءِ إلى الوجه الجميل ولا إلى
الصوت الدافئ كالربيع ولا إلى الجيد يتلأل كالياقوت .

لم أنتبه وقتئذٍ إلى اللحظات تسرق مني اللقاء وتسرق مني لذته وتأخذ مني لحظة
سفرٍ مُسافرةً في عروقِ الزمان وإن تعود حلاوتها ولا أيضاً حرارتها .

لم أنتبه لحرارة الأجواء وحرارة المكانِ وصخب الحضور وضجة القاعة الرحبة
والمزدحمة ، كل هذه الأشياء تأخذ مني الثواني وتسرقني الوجه الجميل وأنها لن
تعيد لي ذاك اللقاء وإن تعود .

رجعتُ صديقتي للبيت ليلاً وكان الطريق طويلاً وكان الحديث طويلاً مع المحب
وتحدثنا عن كل شيء في تلك المدينة وكان الربيع فيها حاضراً رائعا ولكن حضورك
كان فصلاً خاصاً وكان بوعه أخرى
تحدثنا وحدثتهم عن كل شيء إلا عنك فلقد كنتُ سرّاً أودُّ الاحتفاظ به لنفسِي
وأظل أحفظه ما بين نفسي وبينِي .

حدثتهم عن الشعر والشعراء ... عن آلاف الوجوه التي إلْتقيت وما إلْتقيت
... حدثتهم عن حواء تحضر حفل الشعر المضرَج بالغرام وبالغزل حدثهم عن
كل شيء إلا عنكِ فانتِ حكايةٌ أخرى وأسطورةٌ لا تُصدّق لو حدّثتهم عنها ... حكايةُ
إمرأة فارسية تحكي عن الحبِّ بلا حرج ولا خوفٍ ...

إمرأة تروي تفاصيل الغرام بلا فواصل ولا تقاطع أو تقطّع في الكلام وبلا
إختلاجٍ ولا خجلٍ ...

إمرأة لا يهزّها الشعر إلا إذا هزّ ستائرَ غرفتها ومرّت على صدرها ولأَمَسَ سِوَارُ
نهدِها وحطّ كما الفَرَّاشَةُ فوقَ حَلَمَتِها

إمرأة ترفض شَهَابِي شهریار وعشقه العدوانِي وعُقْدَةُ القَتْلِ والإغتيال التي

تغلغلَتْ فيه ... وتنبذ هارون الرشيد عبدَ النزوات والأنثى التي جُمعت قصوره منها
ألف جارية في غرفةٍ واحدةٍ ...

يا امرأةُ ترفض هارون الرشيد أنا هارونُ هذا العصر ولقد أدخلتُ غرفتي ألف
إمرأةٍ وألف جاريةٍ أو لستِ سيدي ألف امرأةٍ لوحدكِ !!! ... ٩٩٩... ٩٩٩...
يا امرأةُ تُجسد ألفَ امرأةٍ وتجمع في حسنِها حسن ألف امرأةٍ بحسنهنَّ
وحبهنَّ وحقدهنَّ وغبنهنَّ وجبنهنَّ وودهنَّ ودفنهنَّ ويدخلن في مقصورةٍ واحدةٍ
جارياتٍ كأنهنَّ جوازي تصوِّري ألفَ جاريةٍ تجتمعن على رجلٍ واحدٍ ... ألف
جاريةٍ من بلادِ الفرسِ جننَ تحملن سُجَّاداً وعقدأً على صدرهن ووشمةً خالٍ على
الخدِّ وقبله عاشقٌ لم يصل ...

يا أنت يا ألفَ امرأةٍ فارسيةٍ ويا سُجَّاداً أصلي على وجهِ ألفِ عامٍ للفرام
واللهوى وأنوق في ترحاله طعم التثاني وطعم النوى ...

يا أنت .. يا نجمةً صُبح تطلُّ إذا الفجرُ جاء وتطرد عني الظلام ...

تعالني ضمنتُ إلى الموتِ من شفتيكِ وإنِّي وهبتُ الحياةَ فداءَ الغرامِ
تعالني وإنْ أعمسَ حرفاً إذا ما وصلتُ فإني نذرتُ إلى اللهِ صومَ الكلامِ

أسيدتي !!!
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أسيدتي قبلُ أنْ تلتقي وسيدتي حينَ تمَّ اللقاءُ

أسيدةُ الفرسِ والعُرسِ سيِّدةُ في النساءِ

ماذا أقول لو جهك لو صدفةً يلتقيني وحين يطالعني قمرًا في السماء

وقدك حين أخاله يجيء نخلًا طويلاً ونهدك نافورةً في المساء / وخِصرك جيدٌ مثل

جيدِ غزالٍ ... ورخو كقطنٍ على حرفِ ماءٍ

أسيدتي متعبٌ من لقائنا مرةً

فكيف إذا ما استمرَّ اللقاءُ !!!

أسيدتي مُتعبٌ ... مُتعبٌ كأنني ما نمت من ألفِ عامٍ ولا إليي شربتُ من زمانٍ

ونهداك حينٍ إلقتينا أضافاً عياني ...

وعيناك فأضاً كبجرٍ حنانٍ

أناملُك حينَ حطتُ على ورقٍ أحرقتهُ

وعيناك فاضاً كبحري حنان
 أناملك حين حطت على ورقي أحرقت
 فشب حريق قلبي وثار دخان
 وعنوانك كيف حين كتبته صار بلاداً جميلة
 وغطت مروجها الخضراء وجه المكان
 فلا فارس هي فارس الفرس ظلت
 ولا عقبة يوماً بصولاته أسس القبروان
 ولا قاعة العرض حين تكلمت فاهت بشعر
 ولا شعراء هنالك كانوا ولا مهرجان
 أسديتي الشعر أنت القصيدة والبحور
 وعيناك وحدهما أنشودتان

فأنشودة للغرام يغنيها طفل غرير
 وأنشودة لمن لم ير في حياته قط حنان

فكيف تخلى لنا الفرس عنك
 وكيف بينظلة نون أصبهان

وكيف الغزاة غزوا بلاد مهرة فارسية
 وكيف بعقبة نونك أسس القبروان

وكيف القصائد تأتي بلاد وجهك
 ويشرع للشعر رغم غيابك مهرجان

وكيف بلاد شعرك يستقل الحمام
 وعيناك تحت ضفائرك نجمتان

وكيف يصلي المصلون للقبلة

ونهداك ما علموا أن سوى قبلة الله هما قبلتان
 ورمشك قاطع كالسيف كيف صلاح (1) نساء

وما استل خالد سيف اليمان

أسديتي متعب من تفاصيل وجهك جداً

فكيف سأصمد وجهها يواجه وجه الزمان
وكيف سأكتب شعري وأنت الكتابة والشعر ...
أنت القصيدة يحمل صدرها ألف ديوان
وكيف يقولون ثمة ظلمة حالكة
وأنت إذا ما طلعت قمران

والتقيتك إذن صديقتي الرائعة في موسم الشعر والشعراء ... إلتقيتك في فصل
الصهيل وكنت فرساً فارسية تشق بقامتها مهرجان الخيول الأصيلة وكنت أصيلة
مهد الفنون الجميلة .

إلتقيتك يا مهرة فارسية وقبلك جريت ركوب الخيل وركبت في عمري القصير
آلاف الجياد وركبت أكثر من مهرة وطوعت أكثر من واحدة للركوب وسقطت من
على صهوة أكثر من مهرة وأدسى مرافقي السقوط وجرححتي الكبوات ولكني كنت
دائما لا أبالي وأنهض من جديد ولا أحفل بالسقوط مرة أخرى وأخرى ...

جريت جميع أنواع الخيول ولكني ما جريت مرة مهرة فارسية فللفارسية طبعها
والفروسية طابعها ومن سوء حظي أن لست فارسية في النساء ولا فارسا في
الخيول وأجرب الآن غير عادت مهرة لها في الجموح فنون جميلة فكيف سيبدأ
وأين سينتهي بي الركوب ؟

للفرس عاداتهم في رياض الخيول وفي التعامل معها ولست فارسياً ولا
إصباحنياً ولا خرسانيا ولا شرانياً ولا أهوزياً ولا حوزياً ولا جندكياً فكيف
سأركب فارسية وأكتب الفارسية وكيف أحارب ضد العروبة للأعين الفارسية ... ؟
يا سيدتي لم ألتق من قبل امرأة تقول الشعر صامتة وتحرر حواء من عقدة
الجنس وعقدة الجسد وتعترف بأن الشعر لا يلامس شعرها ولا يلثم ثغرها ولا
يمزق ناهديها ليس شعرا وإن يحسب على الشعراء ...

إمرأة تعترف بأن الشعر الذي لا يحفر داخل أعماق أنوثتها ولا ينحت تفاصيل
جسمها ولا نقائق أنوثتها لا تسميه شعرا وأن الشعر المحايد قد ولّى
وقد انتهى عصر ليلى العامرية ولبلى الأخيلية ولا تعود من تعيد
المجدلية .

فشبُّ حريقٍ بقلبي ثارَ دُخانُ
 وعنوانك كيف حينَ كتبته صارَ بلاداً جَميلةً
 وغطتْ مَروِجُها الخُضرُ وجهَ المكانِ
 فلا فارسٌ هي فارسُ الفرسِ ظلتْ ...
 ولا عُقبَةُ يومًا بصولاته أسسَ القُيُروانُ
 ولا قاعةُ العرضِ حينَ تكلمتْ فاهتْ بشعرِ
 ولا شعراءَ هناك كانوا ولا مهرجَانُ
 أسيديتي الشعرُ أنتِ القصيدة والبُحورُ
 وعيناك وحدهما أنشودتانُ
 فأنشودةٌ للفرام يغنيها طفل
 وأنشودةٌ لَن لم يرَ في حياته قط حَنانُ
 فكيف تخلَّى لنا الفرسُ عنكَ
 وكيف يبنُ نقطةً نونَ إصْبَهانَ
 وكيف الغزاةُ بلا مَهْرَةٍ قد غزوا
 وكيف بعُقبَةٍ أسسَ القُيُروانُ
 وكيف القصائد تأتي بلا وجهك
 ويُشرعُ للشعرِ رغمَ غيابِك مهرجَانُ
 وكيف بلا شعرِك يستظل الحمَام
 وعيناك تحت صفائركِ نجمتانُ
 وكيف يصلي المصلون للقبلة
 ونهداك ما علموا أن سوى قبلة الله هما قبلتان
 ورمشك قاطعُ كالسيف كيف صلاح (1) نساہ
 وما إستلَّ خالدُ سيفَ اليَمَانِ
 أسيديتي متعبٌ من تفاصيل وجهك جداً
 فكيف سأصعد وجهها يواجه وجه الزمان
 وكيف ساكتب شعري وأنت الكتابة والشعر ...

أنت القصيدة صدرها ألف ديوان
وكيف يقولون ثمة ظلمة حالكة
وأنت إذا ما طلعت لوحدك قمران

والتقيتك إذن صديقتي الرائعة في موسم الشعر والشعراء...،التقيتك في فصل
الصهيل وكنت فرسا فارسية تشق بقامتها مهرجان الخيول الأصيلية وكنت أصيلة
مهد الفنون الجميلة .

إلتقيتك يا مهرة فارسية وقبلك جرّيت ركوب الخيل وركبت في عمري القصير
آلاف الجياد وركبت أكثر من مهرة وطوّعت أكثر من واحدة للركوب وسقطت من
على صهوة أكثر من مهرة وأدمى مرافقي السقوط وجرحّحتي الكبوات ولكني كنت
دائما لا أبالي وأنهض من جديد ولا أحفل بالسقوط مرّة أخرى وأخرى ...

جرّيت جميع أنواع الخيول ولكني ما جرّيت مرّة مهرة فارسية فللفارسية طبعها
والفرسية طابعها ومن سوء حظي أن لست فارسا في النساء ولا فارسا في
الخيول وأجرب الآن على غير عاداتي مهرة لها في الجموح فنون جميلة فكيف
سيبدأ وأين سينتهي بي الركوب ؟

للفرس عاداتهم في رياض الخيول وفي التعامل معها ولست فارسيا ولا
إصبيهانيا ولا خراسانيا ولاشيرازيا ولاهرمزيا ولا أهوازيا ولاحورزيا ولاجندكيا
فكيف سأركب فارسية وأسقط من على فارسي وأكتب بالفارسية وكيف أحارب
ضد العروبة للأعين الفارسية ؟..

يا سيدتي لم ألتق من قبل امرأة تقول الشعر صامتا وتحزّر حواء من عقدة
الجنس وعقدة الجسد وتعترف بأن الشعر الذي لا يلامس شعرها ولايلثم ثغرها ولا
يمزّق ناهديها ليس شعرا ولن يحسب على الشعر...

إمرأة تعترف بأن الشعر الذي لا يحفر داخل أعماق أنوثتها ولا ينحت تفاصيل
جسمها ولا دقات أنوثتها لا تسميه شعرا وأن الشعر المحايد قد ولّى وقد انتهى
عصر ليلى العامرية وليلى الأخيلية ولا تعود من تعيد المجذلية .

إمرأة تريد الشعر فاضحا كريشة جيروم يصور الغانية تغازل غرائز القضاة
بالجسد الشفاف وتدعوهم إلى الغواية والكفر ...

الأقلام الواعدة

بقلم : عبد المجيد زين العابدين

ما من شك في أن الثقة التي يتحلّى بها شباب اليوم وهم بيرهنون على قدراتهم ومواهبهم وراءها ما وراءها من أسباب ودعائم تستمدّ جذورها بالأساس من عناية العهد الجديد بهذه الشريحة الاجتماعية وحرصه على إنارة سبيلها إلى الرّشاد والرّؤية الواضحة والوعي بوجودها داخل هذا العالم المضطرب الذي لا يقرّ له قرار.

لقد اخترت أن تكون مواضيع هذه الحلقة وطنية فهي تتراوح بين الأمومة ومعاني الوفاء والتفان وحُبّ الأوطان وما تستدعيه الحياة من حزم وعزم وصمود أمام تقلباتها ، ولئن بدت إلى الوزن مفتقرة في بعض مواطنها ، فإنّ إيقاعها الحقّ يتمثل في هذا النّوبان الشبابي في المبادئ والمثل الإنسانية العليا .

* إلى الأنسة دلندة الهدياوي :

أيتها الطالبة الأدبية دلندة صديقة الإتحاف لقد قرأت لك عديد النصوص ونشرت لك جملة منها وفي كلّ مرّة أقرأ وأنشر لك أراني أنتظر منك نقلة نوعية . إنّ كاتبة صاحبة قلم سيّال مثل قلمك لا بدّ أن ترقى في نهاية المطاف إلى مستوى الإبداع الحقّ في النمط الذي تنتهجه . كل نصوصك وإن اتفقت في وحدة المضمون وثوريته وجموح العاطفة الشبابية فيه واستقامة لغته وحسن توزيع جملة ، فإنّها تبدو مفتقرة إلى الناحية الإيقاعية في نصوصك وما عليك إلّا انتهاز المسلك المعهود للتمكن من هذا المكسب الذي يتمثل بالأساس في العناية بالأشعار الجيدة قراءة وحفظاً ، وستلاحظين عندئذ ارتقاءك إلى مستوى شعري لم تجعله يوماً في حساباتك . أنشر لك في هذا العدد ما عنوانه : « فخورة بك يومي »

فخورة بك يومي

شكراً لك عصري وأعدت بناء جسري
زينت أمسي ويومي شكرا ساعة الشروق

وأهلاً لحظة العمر	أزيتها برمل وصخر
صورت أحلى الرسوم	لأتحدى قسوة عصري
وأعلنت همسة نصري	وأبحر بزورق اللحن
أبدأ أعانق أنفاسك	لأتناهى في زرقة اللحن
وأصرخ زمني لتثبت	أذيب رملي وصخري
فلن أنكث عهدي	وأسبح في مياه التحدي
حالا أعيد بناء قصري	أحرك رسومي ...
أمكث بين غدي وأمسي	لنخلق معا في سماء عصري .
وارسم لوحة الوجد	

* إلى الطالب النبيه عادل الطرابلسي أصيل بوعرادة :

شكراً لك أيها الصديق عادل على طيب انطباعاتك وحسن اعتدادك بما أقدم به إليك وإلى زملائك المبدعين من نصائح وتوجيهات في كل حلقة من حلقات هذا الركن وإنني بذلك معتزّ وكذلك مقرر العزم على الإفادة أبداً . أنت من هواة الشعر التقليدي ولك نزعة إلى النظم على بحوره الخليلية وهذا منجى إيجابي تسلكه . ولئن كان إيجابياً وذا أبعاد في عصرنا الحاضر فلا شكر ننكر أيضاً أنه اختيار صعب في بدايته ولذيذ ممتع عند الشعور بأنك ظفرت بأسراره ومكوناته وذلك لا يتاح لمريديه بسهولة . وأسرار هذا الشعر الأصيل تتمثل في حذق تفعيلاته ومعرفة ما قد يطرأ عليها من تغييرات يسميها العروضيون زخافاتٍ وعلا كل ذلك فضلاً عن حفظ الجيد منه .

أنت في قصيدك : « أمي » الذي سأدرج لك منه في هذا السياق أغلب أبياته اخترت أن يكون على البحر البسيط الذي قوامه تفعيلتان تعادان مرتين في الصدر ومرتين في العجز وهما « مستعلن فاعلن »

ما ألاحظه أنك تمكّنت من التجاوب مع هذا البحر وتفعيلاته في أغلب أبيات نصك الشعري إلا أن هناك مواطن تعثر إيقاعي من ذلك قولك : « وحباك » في أول عجز البيت الرابع . أما ترى بأنك تصدم الأذن السليمة بنقلتك السريعة من

تفعيلة مستفعلن إلى تفعيلة أخرى مغايرة لتركيبتها وهي متفاعلن ؟ أصبح هذا العجز فأقول مثلاً : «>> وقد حباك بطهر مثلما الرُّسل >> أخفيف إلى ذلك أن الوزن يختل أيضاً في قولك : «>> يا أعذب >> في بداية البيت التاسع ، واسم التفضيل المسبوق بحرف نداء تقابله التفعيلة مستفعل والزحاف هنا غير جائز قس على ذلك الزحاف في عروض آخر بيت من نصك والخطأ يكمنُ في أن الكلمة داعية مختومة بحركة والحال يدعو إلى أن تختتم بسكون . فلو قلت مثلاً داعيةً لكان صحيحاً وزناً . نصيحتي لك هذه المرة أيها الصديق عادل أن تنظر في القواعد الأولى للعروض وذلك متاح لك في أكثر من كتاب وهكذا يمكن أن تنطلق في رحاب الشعر الأصيل انطلاقاً ثابتة واعدة .

أبي

يَا جَنَّةَ الشُّنُورِ مَا انْفَكَّتْ تَدُورُنَا بِالْحُبِّ ، بِالْأَحْلَامِ ، بِالْأَمَلِ
أَمْدِيكَ قَلْبِي وَدُعَايَ وَالْهَوَى زَهْرِي وَنَبْعُ ثَغْرِي شَوْقًا فَاغْضُ بِالْقَبْلِ
مَا أَجْمَلَ الْكَوْنُ فِي حَيْنِيكَ أَتَطْلُومُ وَأَعَذِّبُ الصَّوْتِ إِذْ نَادَيْتَ فِي وَجَلِ
مَا أَعْظَمَ اللَّهُ قَدْ أَنْشَاكَ مِنْ قُدْسٍ وَقَدْ حَبَاكَ بِطَهَرٍ مِثْلَمَا الرُّسُلُ
يَا أُمَّ حُبِّكَ فِي الْأَعْمَاقِ أَحْمَلُهُ سَيْلًا تَدْفُقُ فِي الشُّرَيَّانِ كَالْعَسَلِ
يَا خَيْرَ نَاطِقَةٍ إِنْ بَاحَ نَاطِقُهَا يَا خَيْرَ قَلَسَفَةٍ فِي عَالَمِ الْمُثَلِّ
يَا مَنْ مَقَامِكَ فِي الْأَحْيَاءِ مُرْتَفَعٌ صَرْحًا تَكْبَتْ فِي الْأَفَاقِ كَالْجَبَلِ
أُمَاهُ إِنَّكَ نَوْمًا خَيْرٌ مَوْضِعٌ يَا مَنْ لِعَيْنِكَ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ مِثْلِ
يَا أَعَذِّبَ الْحَلَمِ عِنْدِي لَمْ يَزَلْ عَطْرًا مِنْ عَهْدِ أَدَمَ مِنْ أَبْنَانِنَا الْأَوَّلِ
رَبَّاهُ خُذْ عُمْرِي ، رَبَّاهُ خُذْ بَصْرِي خُذْ كُلَّ لَحْظَةٍ فَارَحَ خَطْفَهَا قَدْرِي
أُمِّي الَّتِي عَزَقْتَ لِلْحَلَمِ فِي فِكْرِي فِي كُلِّ نَبْغَةٍ قَلْبٍ طَالَهَا عُمْرِي
مَا سَرَتْ مُتَفَرِّدًا إِلَّا وَدَافَقْنِي كَالطَّيْفِ وَجَّةً لَهَا يَحْكِي سَنَا الزَّهْرِ
مَا أَسْنَعَدَ الْعُمْرَ كَالْفَرَبُوسِ أَرْمَقَهُ مَا دُمْتَ قُرْبِي أَيَا أَغْلَى مِنَ الدُّرِّ
مَا أَرَوَّحَ الدُّرْبَ وَالْأَحْلَامَ تَغْمِرُنِي مِنْ سَحَرِ قَلْبِكَ لَا بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ >>

* إلى الشابة القديرة الأنسة لمياء بن حماد أصيلة زغوان :

نصك : « لن أعترف بجوازات السفر » نصّ ينم عن استقامة قلم صاحبه لغة وتركيبا وتعبيرا وهو كذلك لا يخلو من بصمات الحس الشعري إلا أنّ الناحية الإيقاعية فيه غائبة بل قل غائبة وليس لها من أثر هنا في سوى بعض الأحرف التي تختتم بها بعض الجمل مثل حرفي الراء والنون .

أيتها الأنسة لمياء ، لئن استقامت لغتك وتوفّر لك الخيار فلا بأس من قراءة أشعار بعض الشعراء المحدثين سواء في صنف الشعر التقليدي أو صنف الشعر الحر . إنّ موهبة الكتابة كامنة فيك بيد أنّ ما ينقصك إنّما هو الأذن الموسيقية . إنّ مجلّتك الإتحاف ترقب منك أعمالا لك جديدة . ندرج لك نصك : « لن أعترف بجوازات السفر »

لن أعترف بجوازات السفر

لا ... لا ترغمني ..	لا ترغمني على السواد
على حزم تذكرة السفر	ولا تتروك لي رسائلك
ولا على حزم أمتعتك	ولا حتى الصور
ولا إعطائك تذكارا	لأنك مرسوم في قلبي
يذكرك بي ... وبالمدين	لا تمحوك المسامات
لا ... لن أفعل هذا	ولا حتى المدين
لان رحيلك عني	ولا ينسنيك ... طول الزمان
لا يعني لشاعري كذلك السفر	فابتسامتك دائما أمام عيني
بل يزدع في أحزانا	ينفي حضورك الغياب
ويرغمني وإياها على السهر	فلا أعترف بالسفر
ويضخم أشواقني	أزوق دقاتي بالذكرى
فيصبح النهار عندي ليلا	وأكتب دقاتي وقت السمر
لا تعرف فيه دقات قلبي المستقر	أرجوك إذن ... لا ترغمني على شيء
أرجوك ..	فمن فرط حبك
إن قررت الرحيل	سأحب مدينتنا .. وكلّ المدين

ولن أعترف بالأوطان
ولا حتّى بجوازات السفر /
* إلى الأنسة فاتن الرّاجحي أصيلة سليانة :

أحييك على إصرارك على الكتابة فلا شيء أيتها الرفيقة فاتن يتاح من دون
إصرار وعناد ، لغتك مستقيمة وإذا كسب لك ومنطلق هام جداً في ميدان الكتابة
نشرا أو شعرا وما بقي إلّا أن ترتوي من ينباع الأدبية الثّرة حتى تصبح لك ثروة
لغويّة توفّر عليك أدوات الكتابة المعبرة ببسر ، نصك " أمل مع لقاء " ولئن جاء في
قالب نثريّ إلّا أنّه لا يخلو من شاعريّة أدرجه لك تشجيعا بعد تنقيحه وتصويبه :

أصل مع لقاء

أقسمت أنني سأبني الجدران
وأرفع البناء وأعشق العمل
سأرجع إلى الجوع خبزهم
وأرجع الأمل إلى مدينة جدّي ...

...وأعرف أن الطيور الشامخة لا تقف

إلا على القمم الشامخة

وأعلم أن المطر سينزل مهما

تطل فترة الجذب والجفاء

وأعلم أن الأرض دائماً في حاجة إلى

قطرات الندى

* إلى الشاب عبد القادر بالأزرق :

إنّ النصّ الذي أرسلته إلى مجلّتك " الإتحاف " يمكن اعتباره من النصوص
الشعرية غير العموديّة الحرة . وهو يدل على طاقة تعبيرية هامة لك وكذلك فإنّه ينمّ
عن غزارة في أفكارك وسعة في خيالك بيد أنّني أنصحك ألا تستعمل من التعابير
إلّا ما لك به علم يقيني ومن اللغة ما لك ثقة في صحته . أنشر لك مقتطفات من
نصك المهور بعنوان : « دود الأرض »

== دود الأرض ==

بَعِيدَةٌ

وَأَسْمَعُهَا

مُوسِيقَى النُّوْدِ

كُحْلُ اللَّهَيْبِ الْحَارِقِ

عَلَى الصَّخْرِ

طَبُولُ تَدَقُّ

تَدَقُّ دَقًّا دَقًّا

شَطَايَا الْجُنُودِ الْمُتَكَسِّرَةِ

تَلَطَّمُ وَجْهَ الْخَوَاءِ

مَا اللَّحْنُ ؟

مَا الْأَغْنِيَةُ ؟

أَنْسَجَةُ الْعَنَّاكِبِ الضَّخْمَةِ

تَتَوَحَّدُ مَعَ رِيحِ الصَّخْرَاءِ

سَفَرًا

وَالطَّرِيقُ

أَهْدَاقُ ذِيَابِ الْجَبَلِ

تَجُوي

تُؤَلِّوْلُ فِي أُنْثَى

وَالطَّبُولُ تَدَقُّ

تَدَقُّ دَقًّا دَقًّا

بَعِيدَةٌ

وَأَسْمَعُهَا

مُوسِيقَى النُّوْدِ

مَا اللَّحْنُ ؟

مَا الْأَغْنِيَةُ ؟

يَا عَصَافِيرَ الْمُقَابِرِ



تعالني
تراكمي على ما الجسد / الطين
لا تاتني
يا تَلالوين الحُلم الأبيضي
لا تنفِرْني في جُمُعتي المزيّدة
مثل أشواك الموت

أنا
وهذا الذي سيذهبُ
أنا

لي "هام" أسمعني "نورس"
سيُخبر عن موجةٍ
لم ترتطم بعُشُور الشاطئ من قبلُ
كريمة ومُغَبَّةٍ

ديدانُ الهاوية
وَحْشي وصاخِب
عزفها

يطرُقُ شرايين نبعي
يُمزقها
يُرْجِرُ عساليحَ شجَري
يُفتتِها

تعالني...

تعالني....

اطربُ أيها النمل الوحشي
المرباط في قاع الدّيجور
ولم ترقُصْ بعد
على طنين نحل البقايا

أَيُّهَا النَّخْلُ الْمَوْغِلُ فِي التَّحْتِ
 أَحْتَى هَذِهِ السَّاعَةَ
 مِنْ قُرُوحِ الْأَرْضِ ؟
 إِلَى هَذَا الْهَزِيعِ الْآخِرِ مِنَ الْقَجِيعةِ ؟
 تَنْتَظِرِينَ مَا بَعْدَ الْخَرَابِ
 يَا عَيُونَ الْخَطِيئَةِ
 قَصِيدَةُ مُرَّةٍ
 حَمَى الْوَقْتُ تَتَغَلَّظُ فِي
 مِنْ رَأْسِي حَتَّى قَدَمِي
 وَعِزُّ الدَّيْدَانِ
 يُخْلَعُ طِينَاتِ الْعَالَمِ الْآخِضِ
 فِي جَسَدِي
 وَهَذَا الشَّجْنُ الْمُسَمَّى
 يُسْرِفُ فِي الْإِنْتِشَارِ
 حَوْلَ شَجِيرَاتِ الْحَلَمِ
 هَلْ مِنْ وَدَّةٍ
 لَمْ يَتَقَبَّهَا رِصَاصَةٌ بَعْدُ ؟
 هَلْ مِنْ نَهْرٍ
 لَمْ تَرُدُّهُ حِجَارَةُ الْأَلْوَانِ بَعْدُ ؟
 هَلْ مِنْ فَرَاشَةٍ
 لَمْ يَخْنُقْهَا رِمَادُ الْجَحِيمِ بَعْدُ ؟
 سَحَابَةٌ
 ظَلَمَةُ هَذِهِ الْبُئْرُ الظَّامِئَةُ
 وَأَرَاهَا
 خَفِيئَةً
 وَشَوْشَةً هَذَا التُّرَابِ

المظهف دائما لايتلاخ التراب
وأحسنها
بعيدة
موسيقى النود
ترمقني طريق المدرسة
كل يوم
ترمقني وجوه الناس
كل جدار
أجراس الاسفلت
ضجيج الموت
من ابع العسافير
مأذن الزنبق
ترمقني الرقابة
يهرقني سؤالي
الذي أصبح بمزود الوجع هذاه
والصدى متايس من فؤاد التعود
والصدى
غبار الدفاتر القديمة
يسبقني إلى ثقب الباب
يهرقني عويل مزامير التراب
ترمقني طبول الديدان
تدق دقا دقا
بعيدة

* وعلى أمل التلاقي قادماً أيها الرفقاء ، أودعكم راجياً من الله أن يوفقكم إلى تحقيق ما تصبون إليه من انتصارات في ميداني الأدب والفكر .

أصدقاء الاعلام الثقافي

المولدي الكنيزي

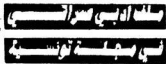
أهداء : الأتقان :

إن ما يكتب عن مجلتنا * الإتحاف * وعن توجهاتها الثقافية الأصيلة واهتمامها

بالأدب وبأهله يبعث في أسرتها
النخوة والاعتزاز ويشحذ
همة المشرفين عليها لمزيد
البذل والعطاء ويحملهم
مسؤولية أكبر في أداء الرسالة .
ولعل ' ملف العدد ' كان محل
عناية فائقة لدى وسائل
الاعلام الداخلية والخارجية
واقترنت قراء المجلة بصدق
توجهها الإعلامي والأدبي
والثقافي بصفة عامة وانفتاحها
على الفكر العربي وعلى ما

تَزَخَّرَ بِهِ السَّاحَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ كُنُوزِ وَإِدَاعَاتِ .

فلقد استرعى الملف المخصص للألب العراقي في عدد جوان - حزيران - 1995 والذي كان وراءه صديقنا الأديب عبد الرحمان مجيد الربيعي اهتمام عدد من الصحف العراقية والأشقاء العراقيين من ذلك ما ورد في جريدة " الجمهورية " الصادرة ببغداد (19 - 8 - 1995) وصحيفة " العراق " (3 - 8 - 1995) ومجلة " ألف باء " (2 - 8 - 1995) وهي شهادات حية بكلمات رقيقة من شأنها أن تدفع " الإتحاف " إلى الأمام فشكرا للجميع على عنايتهم ونخص بالذكر الأساتذة سليمان البكري وعلي عبد النبي الزبيدي وعبد الأمين الوليد ونعدهم بالموافقة .



إلى مسؤولي الفكر

وتمتلك جمعية الطهاري فرقة الفنون المسرحية
في القاعة المخصصة لها في جمعية الطهاري في القاعة المخصصة
في القاعة المخصصة لها في جمعية الطهاري في القاعة المخصصة



1. *Journal of the American Medical Association*, 1997; 277: 1001-1005.

2008

[illegible]

تحت إشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وبالتعاون مع جامعة بغداد، تم إعداد هذا الكتاب في إطار مشروع "تطوير التعليم العالي في العراق" الذي يهدف إلى تحسين جودة التعليم العالي في العراق. الكتاب يغطي المجالات التالية:

- 1. التعليم العالي في العراق: نظرة عامة على النظام التعليمي، التحديات، والفرص.
- 2. التعليم العالي في دول المنطقة: مقارنة مع دول الخليج العربي، مصر، والسعودية.
- 3. التعليم العالي في دول العالم: نظرة عامة على النظم التعليمية في دول مثل الولايات المتحدة، ألمانيا، واليابان.
- 4. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة بغداد، جامعة الموصل، وجامعة الكوفة.
- 5. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة البصرة، جامعة النجف، وجامعة كربلاء.
- 6. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة ذي قور، جامعة واسط، وجامعة كركوك.
- 7. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة ديالى، جامعة بابل، وجامعة كربلاء.
- 8. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة كركوك، جامعة ديالى، وجامعة بابل.
- 9. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة بابل، جامعة ديالى، وجامعة كركوك.
- 10. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة كركوك، جامعة ديالى، وجامعة بابل.

هذا الكتاب هو جزء من سلسلة "تطوير التعليم العالي في العراق" التي تهدف إلى تحسين جودة التعليم العالي في العراق. الكتاب يغطي المجالات التالية:

- 1. التعليم العالي في العراق: نظرة عامة على النظام التعليمي، التحديات، والفرص.
- 2. التعليم العالي في دول المنطقة: مقارنة مع دول الخليج العربي، مصر، والسعودية.
- 3. التعليم العالي في دول العالم: نظرة عامة على النظم التعليمية في دول مثل الولايات المتحدة، ألمانيا، واليابان.
- 4. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة بغداد، جامعة الموصل، وجامعة الكوفة.
- 5. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة البصرة، جامعة النجف، وجامعة كربلاء.
- 6. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة ذي قور، جامعة واسط، وجامعة كركوك.
- 7. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة ديالى، جامعة بابل، وجامعة كربلاء.
- 8. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة كركوك، جامعة ديالى، وجامعة بابل.
- 9. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة بابل، جامعة ديالى، وجامعة كركوك.
- 10. التعليم العالي في العراق: دراسة حالة لجامعة كركوك، جامعة ديالى، وجامعة بابل.

التنشيط الثقافي :

باعتبار أن الثقافة هي السند الأول للتغيير إن لم تكن مبشرة به وإيماننا بأن لا تنمية بدون ثقافة ولا ثقافة بدون تنمية ، فقد كانت المسألة الثقافية دائما محل اهتمام ومتابعة . لذلك ، وتنفيذا للتوجهات الكبرى المسجلة في خطاب سيادة الرئيس زين العابدين بن علي بمناسبة الاحتفال باليوم الوطني للثقافة المتعلقة بالتنشيط الثقافي داخل المؤسسات الإقتصادية ، تم مؤخرا ضبط اقتراحات عملية لهذا الغرض بمساهمة كل الأطراف المهتمة بالواقع الثقافي في الجهة في شكل خطة للمستقبل .

ماجورات :

تعزيزت الساحة الثقافية في جهة سليانة مؤخرا بميلاد فرقة للماجورات تحتضن فتيات نشيطات يمثلن براعم وأعدة .

وقد قطعت هذه الفرقة خطوة طيبة في التدريب على العزف وحذق أصول الموسيقى بفضل الرعاية الفانقة للسلط المسؤولة والتعاون الوثيق بين النيابة الجهوية للمرأة والينوبية الجهوية للثقافة .

أول ظهور لفرقة ماجورات سليانة كان بمناسبة الاحتفال بالذكرى الثامنة للتحويل المبارك .



صندوق 2626 :

الصندوق الوطني للتضامن 2626 ، ينبوع للتكافل والتآزر والتعاون ورمز للدفء الإجتماعي في بلادنا . شهرة هذا الصندوق طبقت الأفاق فأصبح بذلك مثالا

يحتذى به حتى لدى الدول المتقدمة بعد أن أمسى إحدى مفاخر تونس العهد الجديد بانجازاته وتدخلاته لفائدة سكان مناطق الظل .

اثنان وتسعون منطقة تم تحديدها في ولاية سليانة لتنتفع من خدمات صندوق التضامن الوطني إلى غاية سنة 2000 باعتمادات قدرها 57 مليون دينار علما وأنه تدخل إلى حد الآن في 33 منطقة بكلفة جمالية تاهزت 14,5 مليون دينار والبقية ثاني .

معركة جبل برقو :

تمثل معركة جبل برقو إحدى المحطات الرئيسية الهامة في تاريخ النضال الوطني ضد الاستعمار الفرنسي ، لذلك سميت معركة ربع الساعة الأخير لكونها عجلت بتقدم المفاوضات التونسية الفرنسية الهادفة إلى إحراز الاستقلال .

الذكرى الحادية والأربعون لهذه المعركة أحيها المقاومون ومناضلو ولاية سليانة يوم الاثنين 13 نوفمبر 1995 بإشراف السيد محمد جغام عضو الديوان السياسي للتجمع الدستوري الديمقراطي ووزير الداخلية وفاء للشهداء واستخلاصا للعبرة . ومن مميزات هذه الذكرى السنوية أنها تتزامن مع احتفالات الشعب التونسي بتحول السابع من نوفمبر .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



مع البلديات :

يبلغ حجم الاستثمارات الجمالية لبلديات ولاية سليانة العشر حوالي 12 مليون

دينار في صلب المخططات وخارجها أنجزت بفضلها عديد المكاسب لفائدة السكان من ذلك تجميل مداخل المدن وتهذيب الأحياء الشعبية ودعم البنية الأساسية والمحافظة على البيئة والمحيط وغير ذلك كثير .

تونس " الخضراء "

هناك إصرار كبير يحث الجميع من أبناء الوطن على أن تظل تونس خضراء على النوام وذات طبيعة خلابة وبيئة ممتازة ، فالشجرة رمز الاخضرار ورمز الحياة والتعمير ، لذلك تبقى الخطة الوطنية للتشجير من الأولويات التي توجه إليها عناية الدولة باستمرار محليا وجهويا ووطنيا .

وعلى هذا الأساس تتضمن الخطة في ولاية سليانة لهذا الموسم غراسة ما يقارب 4 ملايين شجيرة غابية من أنواع مختلفة ستوجه لدعم الغطاء النباتي في الجهة وتثبيت أشغال مقاومة الانجراف وحماية التربة . هذا بالإضافة إلى غراسة حوالي 260 ألف شجرة مثمرة أغلبها من الزيتون .

الموارد المائية :

تتضمن الخطة الجهوية لتعبئة الموارد المائية بولاية سليانة عديد الجوانب الهادفة إلى التحكم في مياه السيول بواسطة 120 بحيرة جبلية و 23 سدا تليها وسد كبير هو سد الرميل في معتمدية بوعرادة وذلك إلى غاية نهاية القرن الحالي وهي خطة عشرية انطلقت في سنة 1990 .

وقد تم إلى حد الآن إنجاز 45 بحيرة وثلاثة سدود على أمل أن تنطلق أشغال بناء سد الرميل في غضون السنة القادمة باستثمارات تناهز 25 مليون دينار . بالإضافة إلى كل هذا بلغ عدد الآبار العميقة مائة أمكن بواسطتها التحكم في أكثر من ألف لتر في الثانية .

هذه الإنجازات مكّنت من توسيع المساحات السقوية بمختلف أنحاء الولاية لتحث ثورة خضراء وتساهم إلى حد ما في توفير الخضروات والفلفل .

قبل الختام :

عيناك

شعر : المكّي الهماي

وتكحلي بالصمت مثلي إنني

في العشق صرت تطرفاً وجنونا .. !

* * *

أتأبط موتي وأرحل غابرا

لججاً تطوّق بؤبؤاً وعيوناً

* * *

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وأظلّ...تيها...لست أدري ما أنا...؟!

عمق العيون الخضر صرت سجيناً

* * *

ما عشقي المجنون دون عيونك ؟...!

قد أغرقنتني روعة وشجوناً

* * *

شقراء...إنّ العشق صار خرافة...

أسطورة للعاشقين وديننا